أصحاب بِجَدّ

حكايات وطنية

تأليف: أ. د. علي راشد

الحائز على جائزة الدولة التشجيعية فى أدب الأطفال

رسوم: اسامة أحمد نجيب

رقم الإيداع : 4882/ 2011

جميع حقوق النشر محفوظة
لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزال مادته أو نقله
علي أي نحو و بأي طريقة دون إذن كتابي مسبق من المؤلف

E-mail rashed1944@hotmail.com
محمول : 0105630001

obeikandl.com

الرحلة

جمعتْ بينهما أماكنُ عديدةٌ، فأسرتُهما جيرانٌ فى الشارعِ نفسهِ بالحى السابعِ بمدينةِ نصرٍ بالقاهرةِ ، وهما فى مدرسةٍ واحدةٍ ، بلْ داخلِ فصلٍ واحدٍ ـ سادسةِ رابع الابتدائى ويجلسانِ معاً جنباً إلى جنبٍ على المقعدِ الأمامى لهذا الفصلِ .

كما جمعتْ بينَهما أيضاً الآمالُ والأمانيُّ والميولُ والاهتماماتُ ، فهما عاشقانِ للتفوقِ الدارسى وترتيبهُما فى نتائج الامتحاناتِ دائماً فى الخمسةِ الأوائلِ على مستوى مدرستهما ، وهما من هواةِ رياضةِ السباحةِ ، بل إن مدرستَهما قد حصلتْ على الكأسِ على مستوى إدارةِ التعليمِ لفوزِ هذين الصديقين بالمراكزِ الأُولى فى رياضةِ السباحةِ .

كل هذه العواملِ المكانيةِ والزمانيةِ والشخصيةِ جمعتْ بينَ التلميذِ عبد الرحمن أحمد فرج ، وصاحبِه التلميذِ فادى رشدى لبيب ، وجعلتْ منهما صديقينِ حميمينِ ، فتَعلَّق كلٌّ منْهما بالآخرِ فى أُخوةٍ ومحبةٍ يُضرَبُ بها الأمثالُ .

وفى مناسباتِ وأعيادِ المسلمين يكونُ «فادي» أولَ المهنئين لصاحبِه وصديقه «عبد الرحمن» ، وبالمثلِ فى مناسباتِ وأعيادِ المسيحيين يكونُ « عبد الرحمن » هو أولُ المهنئين لصاحبِه وصديقِه «فادي» وفى أعيادِ الربيع و « شمِّ النسيمِ » يسعدُ الصديقان بعيدِهما معاً ، ويقضيَان أجملَ الأوقاتِ معاً فى سعادةٍ وسرورٍ وفرحٍ ، إنَّها صداقةٌ وأخوّةٌ من نوعٍ خاصٍ جداً .

وجاءتْ امتحاناتُ شهادةِ إتمامِ المرحلةِ الابتدائيةِ ، وبعدَها جاءتْ النتائجُ لتُعلنَ نجاحاً باهراً لكلٍ من الصديقينِ « عبد الرحمن » و « فادى » ، فهما من أوائلِ الناجحين على مستوى إدارةِ التعليم .

وأرادتْ المدرسةُ أن تُكرِّمَ الأوائلَ من تلامذتِها ، فأقامتْ حفلاً كبيراً تمَّ فيه توزيعُ الجوائزِ وشهاداتِ التقدير ، وبطبيعةِ الحالِ كان « عبد الرحمن » و «فادى » من هؤلاءِ التلاميذِ الذينَ كرَّمتهُم إدارةُ المدرسةِ ، فأخَذَ كلٌّ منهما جائزتَه وشهادةَ تقديرِه ، وعلاوةً على ذلكَ ، قدمتْ المدرسةُ لهؤلاءِ الأوائلِ رحلةً مجانيةً ترويحيةً إلى مدينةِ الأسكندريةِ لمدةِ أسبوعٍ كاملٍ سفراً وإقامةً وتنزُّهاً .

وعلى أحدِ الشواطئِ بمدينةِ الأسكندريةِ الرائعةِ وفى يومٍ من أيامِ الرحلةِ اجتمعَ التلاميذُ ومعَ بعضِ المشرفين ، وأخَذ كلٌّ منهُم يُسعدُ نَفسَه على طريقته ، فالبعضُ يمارسنَ لعبَ الكرةِ على رمالِ الشاطئِ ، والبعضُ الآخرُ يُسَلِّى نفسَه بألعابِ « الشطرنجِ » والطاولة، أمَّا « عبد الرحمن » وصاحبُه « فادى » فمارسا هوايتَهما المفضَّلةَ ؛ وهيَ السباحةُ فى مياهِ البحرِ ، فهما يُجيدانِ هذه الرياضةِ .

وكانت أمواجُ البحرِ متوسطةَ الارتفاعِ ، فلا خوفَ على أحدٍ من نزولِ البحرِ والسباحةِ فيه .

ومارسَ الصديقانُ ألعابَ الغوصِ فى مياهِ البحرِ ، والبقاءَ أكبرَ فترةٍ زمنيةٍ تحتَ سطحِها ، والسِّباقَ ، وهما يضحكان منْ قلبهما ، ويلهوانِ فى سعادةٍ لا توصَفُ .

وفجأةً بدأتْ أمواجُ البحرِ فى الارتفاعِ شيئاً فشيئاً ، وبدأتْ مياهُ البحرِ تجذبُ وتشُدُّ الأبدانِ إلى داخلِ البحرِ ، وأشارَ « عبدُ الرحمنِ » لصاحبِه « فادى » أنه قد حانَ ميعادُ عودتهما إلى الشاطئِ ، وخاصةً أنهما بذلاَ مجهوداً كبيراً فى السباحةِ واللهوِ فى المياهِ ، ولكنَّ هذه المياهِ أخذتْ « فادى » إلى مسافةٍ بعيدةٍ داخلِ البحرِ ، وهنا صاحَ « فادى »

- عبدُ الرحمن .. أنا لا أستطيعُ السباحةَ .. ولا أستَطيعُ مقاومةَ الأمواجِ .

وفَزِعَ « عبد الرحمن » من صياحِ « فادى » ، وأخَذَ يسبَحُ بكلِّ قوتهِ ناحيةِ صاحبهِ وهو يصيحُ : لا تخفْ يا فادى .. أنا قادمٌ إليكَ ..

واختلطَت أصواتُ الأمْواجِ بأصواتِ وصيحاتِ الناسِ على الشاطئِ ، وأصواتِ صفاراتِ الإنذارِ التى أطلقَها المسئولون عن حراسةِ الشاطئِ وسلامةِ المصطافينَ .

وما أن وصلَ « عبد الرحمن » إلى صديقهِ « فادى » حتى كانَ الاثنانِ قد بلغَ منهما الإجهادُ والتعبُ مأخذاً ، وكادت تنهارُ قوتُهما .

وتعانقَ الصديقانِ ، وكلٌّ منهما يحاولُ أن يُطمئِنَ الآخرَ ، فقالَ « عبد الرحمن » وهو يلهثُ من المجهودِ الشاقِّ الذى بذلَه : اطمئنْ يا فادى ، سنحاولُ الرجوعَ للشطِّ بسلامةِ اللهِ . ردَّ « فادى » وهو يلهثُ أيضاً من التعبِ ، والمشقةِ ، فى محاولةِ لإخفاءِ قلقِهِ :

- ما دمتَ معى يا صديقى فأنا مطَمئنٌ تماماً .

ورغم أنَّ الصديقين كانا على وشكِ الغرقِ ، وبدآ بالفعلِ يغوصان إلى قاعِ البحرِ إلاَّ أنَّ كُلاًّ منْهُما كانَ فى حالةِ طُمأْنينَةٍ تامة ، فلمْ يكنْ الموتُ يُخيفُهما ما داما معاً وهما فى هذه الحالةِ من التعانقِ ، وأغمضاَ أعْيُنَهما وهما يبتسمانِ .

فتحَ الصديقانِ أعْيُنَهما ، فإذا بهما ممددانِ على رملِ الشاطئِ ، حيثُ تمَّ إنقاذُهما فى الوقتِ المناسبِ ، والرجوعُ بهما إلى الشاطئِ ، وتمَّ عملُ الإسعافاتِ الأوليةِ اللازمةِ لهما .

وجميعُ زملائِهما من حولِهما يردِّدُون : الحمد لله .. حمداً للهِ على السلامةِ ..

نظرَ « عبد الرحمن » إلى صاحبهِ فادى وابتسمَ ، فنظرَ « فادى » إلى صاحبهِ وردَّ الابتسامةَ بأروعَ منها . أمْسَكَ « عبد الرحمن » يدَ صديقهِ وقال :

obeikandl.com

ـ أمَا قلتُ لكَ يا فادى اطمئِنْ ولا تخفْ .

أجابَ فادى ، وقد ارتسمتْ ابتسامةٌ جميلةٌ على وجهِهِ وقال :

ـ ما دمتَ معى يا صديقى فأنَا مطمئِنٌ تماماً .

الحكاية الثانية

قُلوبٌ حانِيةٌ

داخلُ المدرسةِ الإعدادية التجريبيةِ للبناتِ ، اعتادتْ مجموعةٌ من طالباتِ الفرقةِ الثانيةِ الإعداديةِ أنْ يأتين إلى المدرسةِ قبل بدء طابورِ الصباحِ بأكثرِ من نصفِ الساعةِ،

ليلتقين معاً ومراجعةِ الواجباتِ المنزليةِ التى فُرِضتْ عليهنَ بالأمسِ ، ومناقشةِ الموضوعاتِ الدراسيةِ التى ستُدرَّسُ لهن فى اليوم الحالى .

ولم تتأخرْ هؤلاء الطالباتُ عنْ موعدهِن المبكرِ طوالِ أيامِ الدراسةِ ، وهؤلاء الطالباتُ هنَّ :

ليلى مصطفى ، ونادية رجب ، وداليا عبد العظيم ، ومارى سليم ، ودائماً ما يَتخلَّلُ هذه الجلساتِ الدراسيةَ المبكرةَ بينَ هؤلاء الفتياتِ الواعداتِ تناولُ بعضِ الأطعمةِ الخفيفةِ ، والمشروباتِ المناسبةِ ، لاستكمالِ الوجباتِ الغذائيةِ للإفطارِ التى حصلنَ عليها فى بيوتِهن ، كما لا تنسَى كل فتاةٍ أن تقولَ بَعضَ ملاحظَاتِها وتَعليقاتِها على الأحداثِ المدرسيةِ وغيرِ المدرسيةِ بما يتركُ فى النفوس السعادةَ ، ويتركُ على الوجوهِ الجميلةِ لتلكَ الفتياتِ الابتساماتِ والسرورَ .

وفى الموعدِ المبكرِ نفسهِ من صباحِ أحدِ الأيامِ ، اجتمعتْ الطالباتُ كعادَتِهنَّ ، إلاَّ أنَّ زميلتُهن « مارى سليم » لم تحضرْ ، فانتابَ القلقُ والخوفُ كلاً من : ليلى ونادية وداليا على زميلتهن « مارى » التى لم تحضرْ ، وحاولنَ الاتصالَ بِها عن طريقِ الهاتفِ المحمولِ الخاصِ بِها ، ولكنَّ الهاتفَ دائماً كانَ مغلقاً .

ومرَّ اليومُ الدراسى على الطالباتِ الثلاثةِ ، ثقيلاً محمَّلاً بالتوترِ والقلقِ عليهن جميعاً ، وكلُّ فتاةٍ بينَ الحينِ والآخرِ تحُاولُ الاتصالَ بـ « مارى » للاطمئنانِ عليها دونَ جدْوى .

وبعدَ انتهاءِ اليومِ الدراسى ، ذهبتْ الطالباتُ على الفورِ إلى بيتِ زميلتهِن « مارى » فى محاولةِ للاطمئنانِ عليها ، ومعرفةِ سببِ تغيبُّها عن المدرسةِ فى هذا اليومِ .

وكانتْ المفاجأةُ عندما علمنَ بأنَّ والدةَ « مارى » قد فاجأها فى منتصفِ ليلِ اليوم السابقِ ألمٌ شديدٌ فى قلبِها نُقِلتْ على إثرهِ فوراً إلى المستشفَى ، وأُدخلتْ فى الحالِ

obeikandl.com

حجرةِ العمليات لتُجرَى لها عملية « قلب مفتوح » لإنقاذِها من موتٍ محققٍ .
واستغرقَتْ هذه العمليةُ الجراحيةُ حوالى سبعِ ساعاتٍ ، ولكنْ والحمدُ للّه كانتْ عمليةً ناجحةً وتخضَعُ والدةُ « مارى » لعلاجٍ مكثَّفٍ فى حجرةِ العنايةِ المركَّزةِ .
والْتَفَّتْ الطالباتُ الثلاثُ حولَ زميلتِهن « مارى » التى ذَبُلَتْ عيناها الجميلتان من كثرة البُكاءِ وحاولن تخفيفَ الأمرِ عليها وبثِّ الطمأنينةِ إلى نفسِها

أنهن يعلمن أن « مارى » يتيمةُ الأبِ ، فقد تُوَفى والدُها منذ عامين - ووعَدنَ زميلتهن بأنهن سيدعون الله سبحانه وتعالى فى كل صلاةٍ أن يمنَّ على والدتِها بالشفاءِ العاجِلِ ، لتعودَ إلى بيتِها وأسرتِها فى القريبِ العاجِلِ .

وأحسَّتِ الطالباتُ الثلاثةُ بأنَّ أُسرةَ « مارى » تواجِه مشكلةً حقيقيةً ، حيثُ إنَّ العمليةَ الجراحيةَ ، واستكمالَ العلاجِ بعدَ العمليةِ يحتاجُ إلى مبالغٍ ماليةٍ كبيرةٍ ، دفعتْ أسرةُ « مارى » بعضَها ، ويبقى البعضُ الآخرُ ، وهو ليس مبلغاً قليلاً .

حكتْ كلٌّ مِنْ ليلى ، ونادية ، ودواليا إلى أُسرهِن ما حدثَ لوالدةِ زميلتهن « مارى » والمشكلةَ الماليةَ التى تواجه أُسرَتها .

وتوالتِ المفاجآتُ السارةُ ، فقدْ قال والدُ « ليلى » وهو طبيبٌ إنَّه على صلة وثيقة بإدارةِ المستشفَى الذى أُجرِىَ فيه لوالدة « مارى » العمليةُ الجراحيةُ ، وطمأنَ ابنَتَهُ « ليلى » أنّه يستطيعُ أنْ يحصلَ على خصمٍ كبيرٍ من ثمنِ العمليةِ الجراحيةِ .

وأكَّدَ والدُ « نادية » أنَّه مِنْ خلالِ الجمعيةِ الخيرية التى يترأسُها ، سيقومُ بدفْعِ مبلغٍ مناسبٍ من المالِ ، مساهمةً مِنْ الجمعيةِ فى علاجِ والدةِ زميلتها « مارى » .

وصرَّحتْ والدةُ « داليا » - وهى تمتلكُ صيدليةً - أنَّها ستوفرُ لوالدةِ زميلتِها كافةَ الأدويةِ اللازمةِ لها بعدَ العمليةِ الجراحيةِ التى أجْرَتها .

وما هى سوى أيامٍ قليلةٍ حتى غادرتْ والدةُ « مارى » المستشفَى ، وقد تمَّ تسديدُ كافةِ نفقاتِ هذه العمليةِ الجراحيةِ ، وتوفيرُ كافةِ الأدويةِ اللازمةِ للمريضةِ فى أثْناءِ فترةِ النقاهةِ .

وعادتِ البسمةُ إلى الطالبةِ « مارى » بعدَ عودةِ أُمِّها إلى البيتِ سالمةً وفى صحةٍ جيدةٍ ، واطمأنتْ أُسرتُها عليها ، وفى قلوبِهم شكرٌ وثناءٌ لمنْ وقفَ بجانبِهم فى محنتِهم هذه .

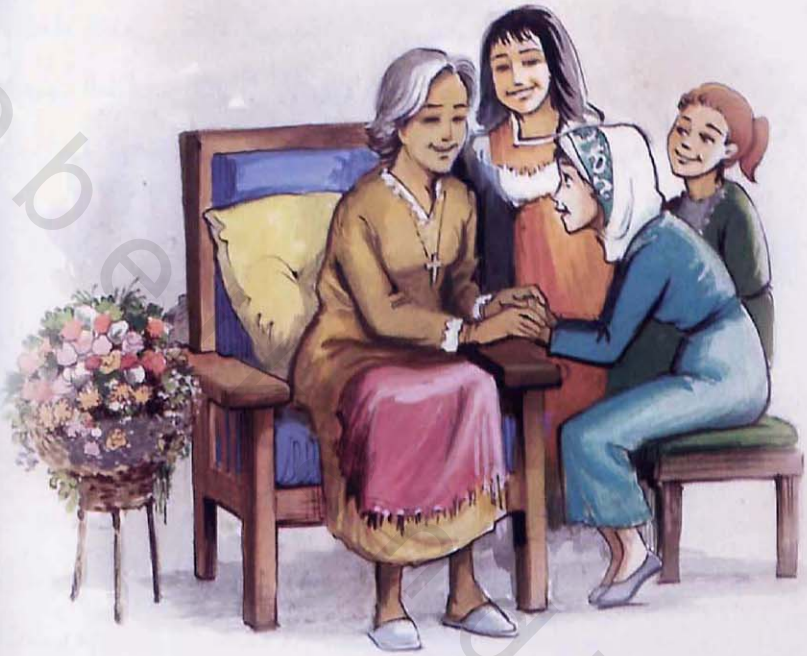

ونظرَتْ « مارى » إلى عيونِ زميلاتِها : نادية ، وليلى ، وداليا ، نظرةً ملؤُها الشكرُ والعرفانُ بالجميلِ والمحبةُ والإخاءُ .

وعادَت الزميلاتُ الأربعُ يلتقين فى مدرستهِن فى الصباحِ الباكرِ قبلَ الطابور ، لمراجعةِ واجباتِهن المنزليةِ التى تمَّ أداؤها فى اليومِ السابقِ ، يُنَاقِشْنَ موضوعاتِ الدراسةِ التى سيدرسُونَهَا فى اليومِ الحالى ، مع تناولِهن بعضَ الأطعمةِ والمشروباتِ الخفيفةِ ، وهن يتسامَرْنَ ويعلِّقْن تعليقاتٍ خفيفةِ الظلِ على الأحداثِ من حولِهنَ .

ما أجملَ القلوبَ الرحيمةَ الحانيةَ عندما تتعاونُ وتتكافلَ فى مواجهةِ صعوباتِ الحياةِ .

الحكاية الثالثة

حقُ الصَديق

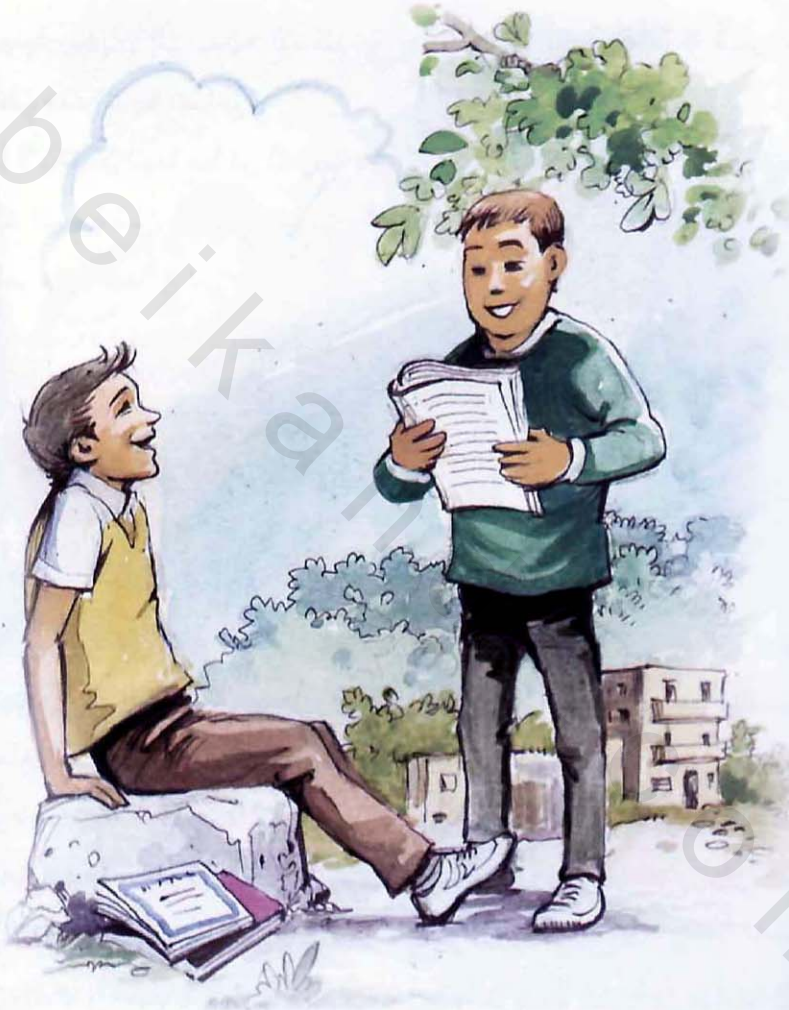

أكثرُ من عشرِ سنواتٍ والفتَى « أحمد يوسف » وتوأمُ روحِه « شادى سمعان » صديقانِ

لا يفترقانِ منذ بدايةِ مرحلةِ الروضةِ ، وحتَّى وصلا الآن إلى الصفِّ الثالثِ الإعداديِ ، ويستعدَّانِ للحصولِ على شهادةِ إتمامِ المرحلةِ الإعداديةِ .

وهما يستذكران دروسَهما معاً ، ويقضيان أوقاتَهما معاً ، وحتى فى فتراتِ الإجازةِ الصيفيةِ يذهبان إلى مدينةِ الإسكندريةِ معاً ليقضيانِ أياماً ممتعةً لا تُنْسَى على شواطئِ هذه المدينةِ الساحرةِ .

وهما لا يكتفيان أنَّهما معاً فى المدرسةِ ، أو فى أثناءِ استذكارِ الدروسِ ، بلْ وحتى فى أوقاتِ الليلِ يلتقيان إمَّا على الهاتفِ ، أو على الإنترنتِ من خِلالِ شاشةِ الكمبيوتر الخاصِ بكلٍّ منهما .

والدُ الطالبِ « شادى » يثقُ فى والدِه ، وهو مطمئنٌ على سيرِ ولدِه فى دراستِه ، لذا فهوَ يتركُ لهُ مساحةً كبيرةً من الحريةِ فى تنظيمِ أوقاتِه ما بينَ فترةِ المدرسةِ الصباحيةِ ، وفترةِ استذكارِه ، وفترةِ ترويحِه عن نفسِه .

بينما والدُ الطالبِ « أحمد » ، دائماً فى حالةِ قلقٍ على ولدِه ، ولا يثقُ كثيراً فى حُسنِ تصرُّفِه فى تقسيمِ أوقاتِه ، خاصةً أنه يجتازُ شهادةً عامةً تستلزمُ بذلَ الكثيرِ منَ الجهودِ والأوقاتِ فى الاستذكارِ ، لذَ فإنَّ والدَ « أحمد » كثيراً ما يُعنِّفُه ، ويتَّهمُه بتَضييعِ وإهدارِ الوقتِ ، سواءً مَعَ الأصدقاءِ أو أمامَ شاشةِ الكمبيوتر للّعبِ والتسليةِ ، أو أمامَ شاشةِ التلفازِ ليشاهدَ مبارياتِ كرةِ القدمِ وغيرِها .

وكانَ هذا التعنيفُ والاتهامُ المتكررُ يُسبِّبُ الضيقَ النفسيَ لأحمدَ ، وكثيراً ما كان يشكو لصديقِ عمرِه « شادى » من معاملةِ والدِه له ، ويردِّدُ دائماً : أبى ما زال يعاملُنى كأننى طفلٌ لا أتحمَلُ المسئوليةَ ، فيُطَيِّبُ « شادى » خاطرَ صديقِه ويقولُ لهُ :

- إن والدَك يا أحمد حريصٌ على مستقبلِك ، وهذا ما يجعلُه شديداً فى معاملتِه لك . إنَّه يُحبُكَ وهذا ما يَجْعله دائمَ النصحِ لكَ .

وفى أحدِ الأيام ثارَ والدُ « أحمد » على ولدِه ، وأكثرَ مِنْ تعنيفِه له لأنَّه اكتشفَ أنّه يجلسُ أمامَ الكمبيوتر ، لا للاستذكارِ ومراجعةِ دروسِه ، بلْ من أجلِ اللعبِ والتسليةِ . وعندما أوضحَ الابنُ لأبيه أنَّه أتمَّ استذكَارَ دروسِه ، وأنْهى واجباتِه المدرسيةِ وأنَّ مِنْ حقِّه أنْ يأخذَ قسْطاً من الراحةِ والترويحِ عن النفسِ ، وأنّه لم يَعُدْ طفلاً ، ويرفضُ هذه المعاملة .

صرخَ الأبُّ فى وجهِ ولدِه ، وصاحَ متوَعِّداً إيَّاه :

- إنّك بالفعلِ ما زلتَ صغيراً ، ولا تتحملُ أىَّ مسئوليةٍ ، ومِن الآنَ وحتَّى نهايةِ الامتحاناتِ ممنوعٌ استخدامُ الكمبيوترِ .

وبالفعلِ حملَ الوالدُ الكمبيوتَر ، ووضَعَه فى خزانةٍ خشبيةٍ وأغلَقَ عليهِ بالمفتاح .

ولم يتحملْ أحمدُ هذا الموقفَ ، وأنَّهُ سَيُحْرَمُ من استخدامِ الكمبيوترِ ، وثارَ لأوَّلِ مرةٍ فى وجهِ أبيه ، وأعلنَ مهدِّداً .

- أنَا لمْ أعُدْ طِفْلاً ، ولا أقْبَلُ هذِه المعاملةَ ، وسوْفَ أخْرَجُ من البيتِ ولن أعودَ إليهِ ..

وأسرَعَ الفتَى بالخروج مُهرولاً مِنَ البيت ، مُنفِّذاً تهديدَه .

وبكتْ أمُّه ، كما بكتْ أُختُه من هولِ هذه النتيجةِ ، وقلَّلَ الأبُ من مصداقيةِ هذا التهديدِ واعتبرَه أمراً مؤقَّتاً ، وأنه سرعانَ ما سيعودُ ولدُه إلى البيتِ .

ولكنَّ « أحمد يوسف » لم يعدْ إلى البيتِ فى هذا اليومِ ، وأصيبتْ الأسرةُ بصدمةٍ شديدةٍ ، وتراجعَ الأبُّ عن موقفِه بأنَّ هذا التهديدَ غيرُ جديٍّ ، وذهبَ يبحثُ عن ولدِه كما ذهبتْ أختُه إلى بيتِ صديقِ عمرِه « شادى سمعان » ، الذى انزعجَ بشدةٍ ، وأعلنَ أنَّه لا يعرفُ مكانَ صديقه أحمد .

وفى اليومِ التالى لم يذهبْ « شادى » إلى المدرسةِ كعادتِه ، وأعلنَ لأُمِّه وأبيه أن سيكرِّسُ كلَّ جهودِه ووقتِه للوصولِ إلى مكانِ صديقِه « أحمد » ، وخرجَ إلى

لا يدرى إلى أينَ يذهبُ وأخذَ الفتَى الوفىُّ فى الذهابِ إلى كلِّ مكانٍ يُحتملُ أنْ يجدَ فيه صديقَه ، ولكن باءت كُلُّ المحاولاتِ بالفشلِ وهنا خَطرَ بباله أنَّه رُبماً يكونُ « أحمد » قد سافرَ إلى الأسكندريةِ عند خالته ، فقرَّرَ الذهابَ فوراً إلى الأسكندريةِ ، وذهبَ إلى مسكنِ خالةِ صديقِه - الذى يَعرِفُ عنوانَه جيداً - وعندما طرقَ « شادى » البابَ ، فتَحَ له صديقُه « أحمد » ، وكانتْ المفاجأةُ فارتميَ « أحمد » فى حضنِ صديقه « شادى » ، وأخذَ الصديقانِ قسطاً وافراً من البكاءِ ، ولعلَّ دموعَهما كانت دموعَ الفرح بهذا اللقاء .

وبعد مناقشات وحواراتٍ - اشتركتْ فيها خالةُ أحمد - لم تخلُ من اللومِ والعتابِ على ما سبَّبَه أحمدُ لأُسرَتِه من قلقٍ وتوترٍ وفزعٍ ، اعترفَ الفتَى بتسرُّعِه وارتكابِه خطأً كبيراً عندَما تركَ البيتَ وهدأتْ النفوسُ ، وعادَ « شادى » مصطحباً صديقَ عُمرِه « أحمد » إلى بيتِه فى القاهرة .

وكان لقاءً فى غايةِ التأثُرِ بين الفتَى العائِد ، وأبيه وأُمِّه وأُخْتِه ، فكلُّ واحدٍ منِهم أخذَ أحمد فى حضنِه وهو يبكى من فرحة عودته ، ولم يتمالَكْ « شادى » نفسَه من التأثُرِ ، فذَرفَ الدمعَ على هذا الموقفِ الذى يُوصَفُ بأنَّه موقفٌ شديدُ الحساسيةِ.

ونظرتْ الأُمُّ بكلِ الحبِّ والعرفانِ بالجميلِ إلى الصديق العزيز « شادى » وقالتْ والدموعُ ملءُ عينيها :

- أشكرُكَ .. أشكرُكَ يا ولَدى .. جزاكَ اللهُ عنّا كلَّ خيرٍ .

ردَّ « شادى » بكلِّ حبٍ وإخلاصٍ : لا شكرَ على واجبٍ يا أُمّى .. فهذا حقُ الصديقِ على صديقِه أنْ يقفَ معهُ فى أوقاتِ المحنِ .

الحفل

تخرَّجَ المُعلِّمُ « محيى الدين محمد» فى كلية التربيةِ مُعلِّماً للعلومِ الطَبيعيةِ ، وكان قدْ اكتسبَ - علاوةً على مهاراتِ التدريسِ - قدراً كبيراً مِنْ مهاراتِ التمثيلِ والإخراجِ

والتأليف المسرحى حيث إنه كان عضواً فعالاً فى فريق مسرح الكلية لمدة أربع سنوات ، وتعلّم على يد خبراء متخصصين هذه الفنون المسرحية .

وعندما جاء تعيينه كمُعلّم علوم فى مدرسة إعدادية مشترك بمدينة «بسيون» محافظة الغربية كان يُؤدّى واجباته كمُعلّم على أفضل وجه ، كما اشترك فى الأنشطة المدرسية الصّيفيّة حيث أشرف على فريق المسرح المدرسى ، وأقام حفلاً مسرحياً كبيراً فى إحدى الليالى بالمدرسة ، والذى اعتُبر أول حفل مسرحي حقيقى أُقيم بهذه المدينة التى تحملُ ملامح الحياة الريفية أكثر من ملامح الحياة الحضرية .

ونجح الحفلُ نجاحاً كبيراً ، فقد حضره عددٌ وفيرٌ من المسئولين ، وأهالى المدينة ، وبالغُوا فى الثناء على فقراته المتعدّدة ، الجاد منها والمُسلّى ، كما أثنُوا على مشرف الحفل ومخرجه المُعلّم «محيى الدين محمد» وخبراته المسرحية المتعدّدة .

وفى أحد الأيام ، وبعد انتهاء اليوم المدرسي ، استأذنت التلميذةُ «مريم فهمى أنيس» - التلميذةُ فى الصف الثانى الإعدادى - فى مقابلة المعلّم «محيي» فى حجرة المعلّمين ، وعندما استفسر المعلّم عن حاجة تلميذته ، أجابت بأنّ والدها يريدُ أن يزوره فى بيته مساء اليوم ، ورحّب المعلّمُ بهذه المقابلة وقال لتلميذته «مريم» : أهلاً وسهلاً بوالدك يا مريمُ .

وفى المساء ، وحسب الميعاد حضر الأستاذُ «فهمى أنيس» إلى بيت المُعلّم «محيى الدين» الذى رحّب به أيمّا ترحيب ، وقدّم لهُ واجب الضيافة من مشروبات وحلوَى .

وعندما نظر المُعلّمُ إلى ضيفه ، وتساءل بعينيه عن سبب هذه الزيارة الكريمة ، أجابَ الضيفُ قائلاً :

- أستاذ محيى الدين .. أنا سعيدٌ بالتعرُّف عليك لأنّ ابنتى مريم تُقدِّرُك جيداً كمعلّمٍ لها ،

وهى دائماً تُثْنِى على خبراتكَ ومهاراتك فى التدريسِ ، وفى معاملةِ التلاميذِ والتلميذاتِ ، فشكراً لك على كلِّ ما تقدِّمُه فى هذا المجالِ .

وفى خجلٍ قال المُعَلِّمُ :

- لا شكرَ على واجبٍ يا أُستاذَ فهمى ، فهذا أقلُّ ما يجبُ مِنَ المُعلِّم لتلامذته .

وأكملَ الضيفُ حديثَه :

- ولقد حضرْنا الحفلَ المدرسىَّ الذى قُمتَ بالإشرافِ عليه وإخراجه ، وأُعجِبْنَا بفقراته كثيراً وأنا بصفتى المدير الإدارىَّ لكنيسةِ بسيون ، اجتمعتُ مع الأبِّ «يؤانس» قسيس الكنيسةِ ، وبعضِ قياداتها ، وقرَّرْنا بأن تقيمَ الكنيسةُ حفلاًدينياً مسرحياً على مسرحِ الكنيسةِ بمناسبةِ عيد القيامةِ المجيدِ الذى سَيَحُلُّ علينا الشهرَ القادمَ ، وتقومُ أنْتَ بإخراجِ هذا الحفلِ والإشرافِ على تنفيذه لما لديك من خبرةٍ فى هذا المجالِ .

وافقَ المُعَلِّمُ «محيى الدين» فوراً على طلبِ ضيفه الأستاذِ «فهمى أنيس»، وأوضحَ له أنَّه ابتداءً من اليومِ التالى سيذهبُ إلى الكنيسةِ بعد انتهاءِ اليومِ الدراسى ، ويستلمُ الفقراتِ المسرحيةِ التى تنوى الكنيسةُ عَرْضَها فى حفلِ العيدِ .

وبالفعلِ ذهبَ «محيى الدين» إلى الكنيسةِ فى الميعادِ المحدَّدِ ، وتقابلَ مع الأستاذِ «فهمى أنيس»، ومَعَ الأب «يؤانس» قسيسِ الكنيسة ، وكذلك مع بعضِ قياداتها ، واستلمَ نصوصَ الفقراتِ المسرحيةِ التى ستُعرضُ على جمهور المسيحيين فى حفلهم ، وهى مستوحاةٌ من كتابِ الإنجيلِ المقدسِ . وبدأ فى اختيارِ مَنْ سيقومُ بأداءِ الأدوارِ المسرحيةِ من شبابِ وفتياتِ الكنيسةِ ، وعندما لم يجدْ مَنْ يُؤَدِّى بعضَ الأدوارِ التمثيليةِ لصعوبتِها قام المُعَلِّمُ بأدائِها .

وبمرورِ أيامِ التدريبِ تأكَّدَ المخرجُ «محيى الدين» من إتقانِ الجميعِ لأدوارِهم فى فقراتِ الحفلِ المسرحى ، وعندما اقتربَ ميعادُ عيدِ القيامةِ المجيدِ سافرَ إلى القاهرةِ ليستأجرَ مستلزماتِ الحفلِ المسرحى ، من ستائرَ ، ومناظرَ ، وملابسَ ، و اكسسواراتٍ من متعهدٍ لَديه محلٌّ مخصوصٌ تعاملَ معَه فى السابقِ عندَ إقامةِ حفلاتٍ متنوعةٍ ، على أنْ يعيدَ كلَّ هذهِ المستلزماتِ إلى المتعهدِ فى اليومِ التالى للحفلِ .

وجاءَ عيدُ القيامةِ المجيد بأفْراحه وسعادته على كلِّ المسيحيين ، وأُقيمَ الحفلُ بحضورِ جمهورٍ كبيرٍ مِنهم ،واستمرَّ الحَفلُ لأكثرِ منْ ساعتين ، واستَمْتَعَ الحضورُ بهذه الأعمالِ المسرحيةِ الرَّاقيةِ ، وعلاماتُ الفرحِ والسرورِ والاستمتاعِ على كلِّ الوجوهِ طوالَ فترةِ الحفلِ وبعده ، والذِّى نجحَ نجاحاً كبيراً فاقَ كلَّ التصوراتِ ، وقدَّمَ الجميعُ الشكرَ والتقديرَ لكلِّ مَنْ أسهمَ فى إخراجِ الحفلِ وعلى رأسِهم المخرجُ والفنانُ «محيى الدين» .

وفى اليومِ التالى سافرَ المخرجُ إلى القاهرةِ ليعيدَ مستلزماتِ الحَفْلِ إلى صاحبِها وعادَ إلى بسيونَ فى اليومِ نفسِه ، وتَوجّه الأستاذُ «فهمى أنيس» يرافقُهُ الأبُ «يؤانس» قسيسُ الكنيسةِ إلى بيتِ المُعَلِّم «محيى الدين محمد» ، وقدَّما له كلَّ الشكرِ والتقديرِ على ما بذَله فى إقامةِ هذا الحفلِ الدينى المتميزِ والذِّى أعْجَبَ الجميعَ ، كما قدَّمَا له خطابَ شكرٍ مِنْ الكنيسةِ ، ومعَه طاقم أقلامٍ من النوعِ الفاخرِ .

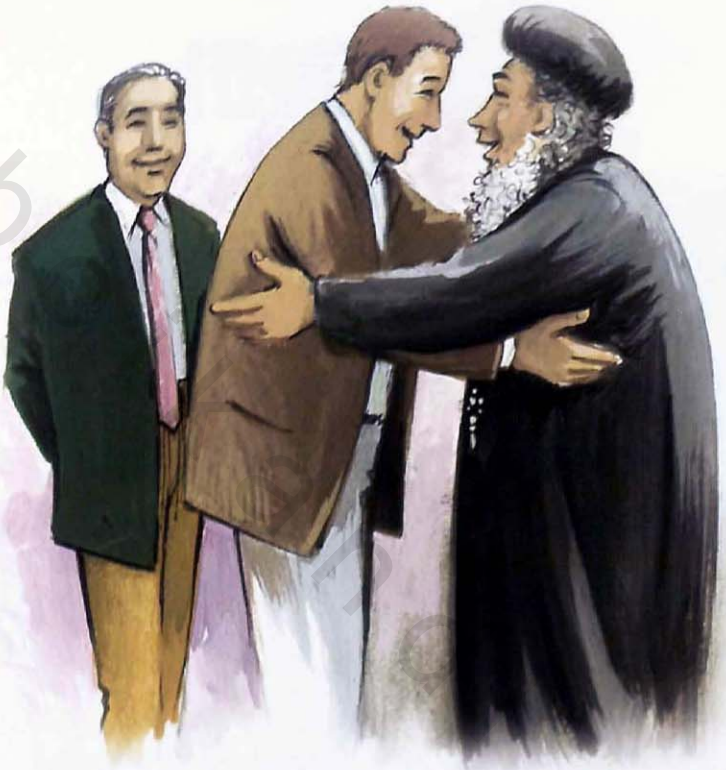

وتعانَقَ مُعلِّمُ العلومِ مع الأستاذِ «فهمى أنيس» ، كما تعانَقَ معَ الأبِّ «يؤانس»راعى الكنيسة ، وكان العناقُ فى صدقٍ وإخلاصٍ ومحبةٍ وإخاءٍ ، شاكرينَ لهُ روحَ التعاونِ والعطاءِ ، وتمنَّوا أن يتكرَر هذا التعاونُ فى مثلِ هذه المناسباتِ السعيدة.

الامتحان

على مقعدٍ واحدٍ فى الصفِّ الخامسِ الابتدائى جلستْ التلميذةُ «فاطمةُ الزهراء» بجوارِ زميلتها «مريام عزيز» ونشأتْ بَيْنَهما صداقةٌ قويةٌ ومحبةٌ لا تُؤَثِّر فيها مواقفُ أو أحداثٌ أو نميمةٌ ، وكلٌّ مِنَ التلميذتين تحكى للأُخرى كلَّ ما يَجِيشُ به صَدْرُها ، وكلَّ مشكلاتِها ، بلْ وأدَقَّ أسرارِها .

وإذا صادفَتْ «مريام» إحدى المسائلَ الصعبةِ فى مادةِ الحسابِ أو الهندسةِ ، فإنَّها تلجأُ إلى صديقتها «فاطمة» التى كانتْ تفيضُ فى شرحِها وتوضيحِها حتى تتأكدَ أنَّ زميلتَها قد فهمتْ الحلَّ بأكثرِ من طريقةٍ ، وبالمثلِ فإنْ صادفتْ «فاطمة» قِلَّةَ فهمٍ لموضوعٍ دراسيٍ فى مادةِ الجغرافيا أو مادةِ التاريخ ، فإنَّها تستفسرُ من صديقتها الغالية «مريام»التى تبذلُ كُلَّ جهدِهَا فى شرحِ هذه الموضوعاتِ لصديقتها فاطمة وكثيراً ما تستضيفُ «فاطمة»صديقتها « مريام » فى بيتها سواءً لاستذكارِ بعض الدروسِ معاً ، أوْ لقضاءِ وقتٍ ترويحيٍ معاً فى سعادةٍ وبهجةٍ وارتياحٍ ، وبالمثلِ كثيراً ما تذهبُ «فاطمة» إلى صاحبتِها «مريام»فى بيتِها للأسبابِ سالفةِ الذكر .

حتَّى عندَما تُعلِنُ المدرسةُ عن قيامِ رحلةٍ مدرسيةٍ سواءً من نوعِ رحلةِ اليومِ الواحدِ ، أو رحلةٍ لعدةِ أيامٍ ، تحرصُ الصديقتان للاشتراكِ معاً فى تلكَ الرحلةِ لقضاءِ أوقاتٍ

جميلةٍ معاً ، وكان هدفُ أن يكونا معاً هو الأساسُ ، قبلَ أىِّ أهدافٍ علميةٍ أو ترويحيةٍ .
ودائماً كانتْ «فاطمةُ الزهراء» و «مريام عزيز» تشتركان فى أفراحِ أعيادِ المسلمين

وأعيادِ المسيحيين فكلُّها مناسباتٌ رائعةٌ تُسعِدُ تلكَ القلوبِ الصغيرِ البريئةِ .

واقتربَ ميعادُ امتحانِ نهايةِ العامِ الدراسيِّ ، وتركَ كلُّ التلاميذِ والتلميذاتِ الأمورَ الترويحيةَ والهامشيةَ ، وتمَّ التركيزُ على استذكارِ الدروسِ فى الموادِ الدراسيةِ المختلفةِ ، والاستعدادُ الجادُ لهذا الامتحانِ التى تُقرِّرُ نتائجُه انتقالَ التلاميذِ إلى الصفوفِ التاليةِ ، أوْ لاَ .

وبدأتْ التلميذةُ «فاطمة الزهراء»وصديقتُها الغاليةُ فى شَحذِ الهمَّةِ ، وبذلِ أقصَى الجهودِ ، وسهرِ الليالى لإتقانِ الدروسِ فى الموادِ الدراسيةِ المختلفةِ ، والتى سيدخلون الامتحانَ للإجابةِ عَنْ الأسئلةِ التى تدورُ حوْلَ هذه الدروسِ ، آملين فى نجاحٍ باهرٍ ، وتفوقٍ غيرِ عاديٍ مثلَ ما يحدثُ فى كلِّ عامٍ .

ولكنْ فى امتحانِ هذا العامِ حدثَ ما لمْ يكنْ فى الحسبانِ ، فقبلَ ميعادِ الامتحانِ بأيامٍ قليلةٍ أُصيبتْ التلميذةُ «فاطمة الزهراء» بمرضٍ شديدٍ وحُمَّى جَعلتْها طريحةَ الفراشِ ، ولا تستطيعُ بذْلَ أىِّ مجهودٍ فى استذكارِ دروسِها ، وكلُّ ما تقومُ به هو أخْذُ الدَّواءِ الذِّى كتبَه وأقرَّه الطبيبُ ، والذى زادَ من فتراتِ نَومِها ، ولم تَعُدْ تتذكَّرَ شيْئاً من المعلوماتِ التى حَفظتْها فى السابقِ ، وماذا ستفعلُ والامتحانُ على الأبوابِ ؟

وحَزِنَتْ «مريام» على مرضِ صديقتِها وتوأمِ رُوحِها «فاطمة» والتى أقعدَها المرضُ اللَّعينُ عن الاستعدادِ لهذا الامتحانِ ، وكلما خطرَ على بالِها أن صديقتَها لنْ تدخلَ الامتحانَ لمرضِها أصابَها القلقُ والتوتُّرُ ، حيثَ يمكنُ أنْ يُفرِّقَ بينَهما ، عندما تنتقلُ هى إلى الصفِ السادسِ الابتدائى وتبقَى صديقتُها فى الصفِ الخامسِ لعدمِ دخولِها الامتحانِ .

وتأثَّرتْ «مريام» بهذا الموقفِ إلى درجةٍ أنَّها ما عادتْ تستذكرُ دُرُوسَها بقدرٍ مِن التركيزِ ، ولذا فقدْ أصرَّتْ «مريام» إلى الذهابِ إلى بيتِ صديقتِها «فاطمة» ، وجلست بجوارِها لساعاتٍ طويلةٍ تقرأُ لها بعضَ الدروسِ في الموادِ المختلفةِ ، وتشرحُ لها الموضوعَاتِ التى يُحتملُ أنْ تأتِى فى أسئلةِ الامتحاناتِ ، وصديقتُها «فاطمة» رغمَ مرضِها ، سعيدةٌ لوجودِ هذه الصديقةِ المخلصة بجوارِها ، تستمتعُ بقراءاتِها ، وبهذا الحبِ الذي جمعَهما وكانت تمسكُ بيدِها لعلَّها تُفْصِحُ عن مشاعِرها الفياضةِ نحوَها ، والتى لا تستطيعُ أن تعبرَّ عنْها الكلماتُ . وأحياناً كانت تروحُ فى نعاسٍ من أثرِ الدواءِ الذى تتناولُه .

وقد تطولُ هذه الجلساتِ لثلاثِ أو أربعِ ساعاتٍ و «مريام» لا تَكِلُّ ولا تَمَلُّ مِنْ مساعدةصديقتِها المريضةِ ، وأحياناً تُذكِّرُها بموقفٍ سابقٍ يدعُو إلى الابتسامِ ، فَتَبتَسِمُ «فاطمة» ابتسامةً باهتةً وهى تضغطُ على يدِها فى حرارةٍ .

وشَجَّعتْ «مريام» صديقتَها «فاطمة» على أنْ تتغلَّبَ على مرضِها ، وعندَما جاء يومُ الامتحانِ تحسنتْ حالةُ المريضةِ لدرجةِ أنَّها قررتْ الذهابَ مع صديقتِها إلى الامتحانِ وفى طريقِهما للمدرسة كانت «مريام» تسندُ صديقتَها وتمسُكُ بها فى حبٍ وصداقةٍ غيرِ عاديةٍ ، وتحاولُ أنْ تذكِّرَها ببعضِ المعلوماتِ التى يُحتملُ أن تكونَ إجاباتٍ مناسبةٍ لأسئلةِ الامتحانِ .

وفى نهايةِ كلِّ يومٍ من أيامِ الامتحانِ تطمئنُ «مريام» فِى أثناءِ العودةِ من المدرسةِ على صديقتِها «فاطمة» ، سواءً من ناحيةِ صحَّتِها ، أو مِنْ ناحيةِ إجاباتِها عن أسئلةِ الامتحانِ .

وانتهتْ أيامُ الامتحانِ ، وتماثلتْ التلميذةُ «فاطمة الزهراء» للشفاءِ من مرضِها ، وشكرَتْ بكل حُبٍّ وإخاءِ صديقتِها «مريام» على كلِّ ما بَذَلَتْه معها فى هذه المحنةِ التى مرَّت بِها فتردُّ صديقتُها عليها وابتسامةٌ جميلةٌ على وَجهِها :

- لا تشكرينى يا فاطمة ، فهذا واجبٌ يجبُ أنْ أقومَ به فى مثلِ هذه الظروفِ لأختِى وصديقتِى العزيزةِ فاطمة .

وتحمدُ «فاطمة» ربَّها على أنَّه مَنَحها صديقةً وأُختاً غاليةً مثلَ «مريام» .

وظهرتْ نتائجُ الامتحانِ ، فإذا بالتلميذتين من أُولىَ الناجحاتِ فى المدرسةِ ، وعانقتْ «فاطمة الزهراء» صديقتَها المخلصةَ «مريام عزيز» والفرحُ يملأُ وجهَها ، والسَّعادةُ

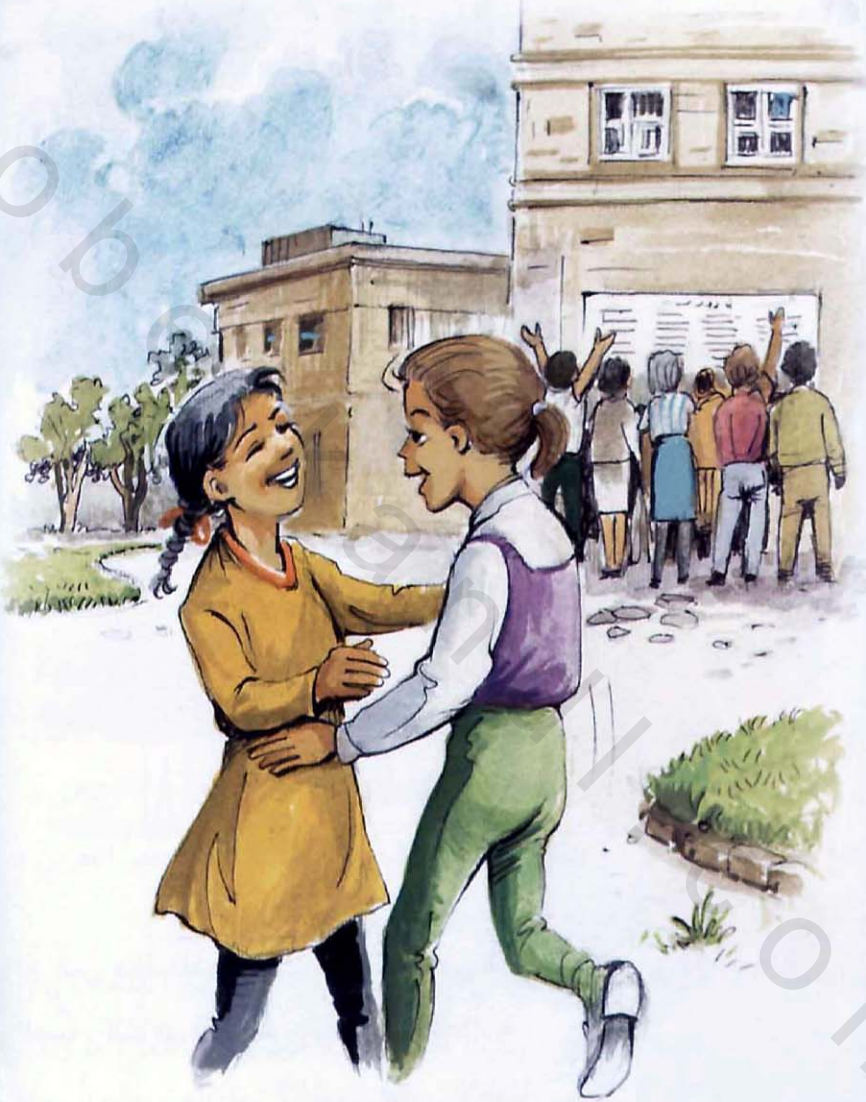

راسخةٌ فى قَلبيهِما ، وهما تدعوان اللّهَ عزَّ وجلَّ أن تبقَى صداقتهُما معاً إلى الأبدِ

الحكاية السادسة

عزاء واجب

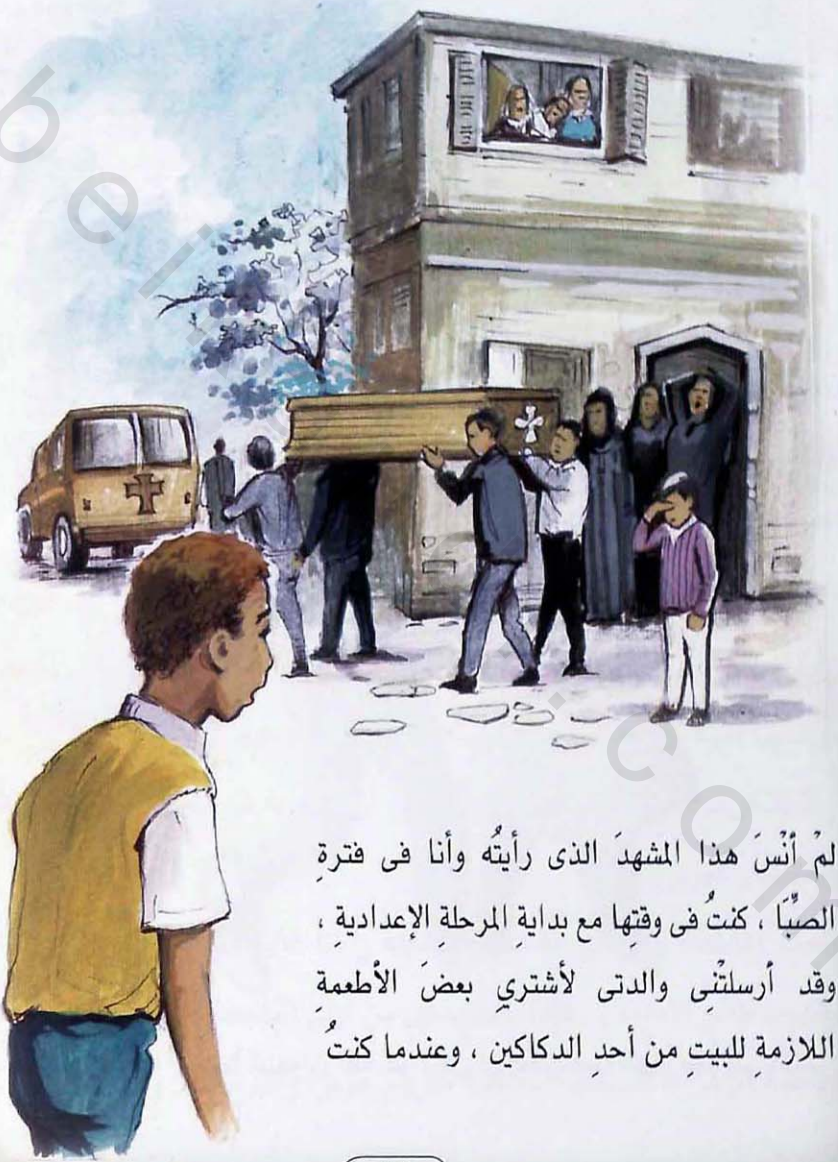

لمْ أنْسَ هذا المشهدَ الذى رأيتُه وأنا فى فترةِ الصبًا ، كنتُ فى وقتِها مع بدايةِ المرحلةِ الإعداديةِ ، وقد أرسلتْنِى والدتى لأشترِيَ بعضَ الأطعمةِ اللازمةِ للبيتِ من أحدِ الدكاكين ، وعندما كنتُ

أسيرُ فى طريقى لإنهاءِ المُهمةِ التى كُلفتُ بها من قِبلِ أُمِّى ؛ إذَا بمشهدٍ يَصدمُنِى صدمةً كبيرةً ، فلقدْ كانتْ هناك جنازةٌ لأحدِ الموْتى تخرجُ من بَيْتٍ من البيوتِ ، وكثيرٌ منَ الرجالِ والنساءِ يلتفون فى حزنٍ عميقٍ حولَ صندوقِ النعشِ الذى حملَه البعضُ منَ الرجالِ ، وفهمتُ أنَّ أسرةَ هذا المصاب مسيحيةٌ ، حيثُ وقفتْ العربةُ التى ستَحملُ النعشَ وعليها صليبٌ معدنيٌّ ، كما فهمتْ أنَّ المتوَفىَّ امرأةٌ ، وذلكَ من خلالِ بكاءِ وصيحاتِ بعضِ النسوةِ ، وهُنَّ يودِّعْنَ المُتوَفاةَ .

وقفتُ بعيداً أتأملُ هذا المشهدَ الحزينَ ، وتسمَّرتُ فى مكانى ، ونسيتُ مُؤقتاً مُهمَّتى التى خرجتُ من بيتى لأدائِها ، ورأيتُ صَبِياً فى مثلِ سنى وهو يبكى بُكاءً حاراً ، واستنتجتُ من مناداةِ بعضِ المشيعين أنَّ هذا الصبيَ اسمُه «مايكل» ، وأنَّ التى تُوفيت ويبكيها هذا البكاءَ الحارَ هى أُمُّه .

وهزَّنى هذا المشهدُ ، وهزَّ كيانى ، وزادتْ ضرباتُ قلبى ألماً ، ووجدتُ الدموعَ تنسابُ من عَينَىَّ وكنتُ أتمنَّى أنْ أتحلَّى بشيءٍ من الشجاعةِ والجُرأةِ ، لأذهبَ إلى «مايكل» الذِّى فَقَدَ أمَّه إلى الأبَدِ ، وأُواسيه وأحْتضنَه ، وأُقدِّمَ له واجبَ العزاءِ فى هذهِ المصيبةِ التى وصفَها اللهُ تباركَ وتعالىَ فى كتابِه العزيز بأنَّها «مصيبةُ الموتِ» ، ولكننى لمْ أستطعْ وبَقَيْتُ فى مكانى ، واكتَفَيتُ بإرسالِ برقيةِ عزاءٍ من قلبى الصغيرِ الحزينِ ، إلى قلبِ «مايكل» الذى ينزفُ دَماً على رحيلِ أُمِّه .

وتحركَ موكبُ الجنازةِ المهيبِ ، سيارةُ الموتى التى تحملُ النعشَ فى المقدمةِ ، ومن خَلفِها تتحركُ سياراتُ المشيِّعين ، وبَقَيتُ فى مكانى لا أتحركُ ، والدمُوع ما زالتْ تَتَساقطُ من عينىِ حتى اخْتفَى الموكبُ نهائياً .

وجَفَّفتُ دموعِى وأنا أسألُ نفسى فى حيرةٍ : مالِى أنَا وهذا الحزنُ الذِّى أصابنى ، فأنَا

لا أعرِفُ أحداً من أصحابِ الجنازةِ ؟ ثم إننى مُسلمٌ من أسرةٍ مُسلمةٍ ، والمُتوفَّاةُ مسيحيةٌ من أسرةٍ مسيحيةٍ ، وأقنعتُ نفسِي أنَّ سَبَبَ مُشاركتِى الحزنَ لهذه الأسرةِ الحزينةِ هو الابنُ «مايكل» ، فهو فى مثلِ سِنِّى ، وحالةُ الحزنِ والبكاءُ على أُمِّهِ الراحلةِ صورتْ لى أنَّهُ يمكنُ أنْ يحدُثَ لِى ما حدثَ لَه فَأَفْقِدُ أُمِّى مثلَه ، وهنا زادَ اضطِرابى بشكلٍ غير عادي لهذه الخيالاتِ ، وسَأَلتُ نفسى : هلْ يمكنُ أنْ أفقدَ أُمِّى

وأُودِّعَهَا مثلَ ما ودَّعَ «مايكل» أُمَّه ؟ وهلْ أستطيعُ أنْ أتحمَّلَ هذه المصيبةَ الكبرى خاصةً أننى يتيمُ الأبِ منذُ أنْ كنتُ طِفلاً رضيعاً وهنا أزحْتُ عَنْ نفسِى هذه الأفكارَ المفزعةَ ، وألقَيْتُها خلْفَ ظهرِى ، وأسرعتُ لأشترى الأطعمةَ التى كُلِّفْتُ بِشرائِها مِنَ أحدِ الدكاكينِ .

ومرَّتْ عِدَّةُ أيامٍ على هذا الحدثِ ، وفى أحدِ الأيامِ وبينما كنتُ داخلَ إحدى المكتباتِ ، التى تبيعُ الكتبَ الدراسيةَ ، والكراساتِ ، والأقلامَ ، ولوازمَ مدرسيةٍ أُخرى فإذا بى ألمحُ «مايكل» بجوارِى ، وهو يشترِى بعضَ الكراساتِ المدرسيةِ

obeikandl.com

والأقلامِ ، رَأيتُه هذه المرةَ وقدْ تماسكَ نفسيّاً ، وأزاحَ الكثيرَ من الهمومِ والأحزانِ التى رأيتُها على وجهِه من قبلُ ، ومع هذا فما زال عميقُ الحزنِ يسكنُ عَينَيه ، وجرحُ

الفراقِ يُدمى قلبَه فى صمت .

وأردتُ أنْ أتكلمَ معَه ، وأن أجاذِبَه أطرافَ الحديثِ ، ولكننى لمْ أعرفُ كيف أبداً ؟

وانتهزْتُ فرصةَ اختيارِه بعضَ الكراساتِ ، وتشجعتُ واقتربتُ منه وقلتُ :

- هناك كراساتٌ أفضلُ فى نوعِها وورقِها من تلكَ التى اخترتُ .

وأشرْتُ إلى مكانٍ وجودِ هذه الكراساتِ الأفضلَ ، فنظرَ لى نظرةً سريعةً ، وشكرَنى بابتسامةٍ خفيفةٍ على هذه النصيحةِ ، وهو لا يدرى أنَّنى أعرفُه مُسبَقاً .

وكادَ هذا الموقفُ بينَنا أنْ ينتهِى ، ويخرجَ «مايكل» من المكتبةِ ، فأسرعتُ وقلتُ له :

- فى أيِّ صفٍ دراسيٍ أنتَ يا أخِى ؟

أجابَ : - فى الصفِّ الأولِ الإعدادى .

فابتسمتُ وقلتُ له : وأنا كذلك فى الصفِّ الأولِ الإعدادى .

تساءلَ «مايكل» : ما اسْمُكَ ؟

قلتُ : أحمد .. وأنت ما اسْمُك ؟

أجابَ : مايكل ..

قلت له بنبرةٍ مخلِصة : هلْ مِنَ الممكنِ أن نكونَ أصدقاءً يا مايكل ؟

فابتسمَ ابتسامةً كبيرةً هذه المرةُ وقال أيْضاً بنبرةٍ مخلصة : بكلِّ سرورٍ يا أحمد .

وسَعِدْتُ كثيراً بهذه الصداقةِ ، ولم أُخبرْه بما رأيْتُه فى الموقفِ الأليمِ السابقِ ، وصِرْنا صديقَين حميمين ، نستذكرُ بعضَ الدروسِ معاً ، ونلتقى فى نزهةٍ ترويحيةٍ أحياناً .

وكبرْنا ، وتقدَّمَ بنا الزمنُ ، والتحقتُ أنَا بكليةِ التربيةِ ، والتحقَ «مايكل» بكليةِ العلومِ ، وفرَّقتْنا الأيامُ ، ومرَّتْ السنواتُ والأعوامُ ، وباعدَتْ بينَنَا مشاغلُ الحياةِ ، وتخرَّجتُ

فى الكلية وعملتُ معلِّماً فى
إحدى المدارسِ ، وتزوجتُ ،
ورزقنى اللهُ تعالى «بولد»
و «بنت» ، وبعدَ أعوامٍ أُخْرَى
حدثَ لى ما يُحدثُ لكلِّ
الناسِ تُوَفيت والدتى
رحمةُ اللهِ عليها ، وعندما
أقمتُ لأُمِّى الراحلةِ سرادقَ
عزاءٍ ، فوجئتُ أنَّ صديقى
القديمَ « مايكل » مِنَ بينِ
المُعَزِّينَ ، وتعانقنا فى شوقٍ
والدموعُ تملأُ أعيُنِنَا ، وقال
« مايكل » وهو يواسِينِى :

- علمتُ بالخبرِ من النعيِ الذى كتبْتَه فى الجريدةِ اليومية ، فجئتُ لأُقدِّمَ لك واجبَ العزاءِ لأنَّنِى أعرفُ مدى صعوبةَ فقدِ الأُمِّ ، فلقدْ فارقتنى أُمِّى وأنا صغيرٌ ..

قلتُ له وأنا أُربِّت على كتفِه : أعرفُ يا صديقى أعرِفُ ، وشكراً جزيلاً على حضورِك فقد ارتحتُ كثيراً عندما شاهدتُك .

واتَّفقْنا بعدَ الانتهاء مِن العزاءِ على أن نكونَ على تواصلٍ مستمرٍ منذُ هذا اليوم .

الحكاية السابعة

سبع درجات على مقياس رختر

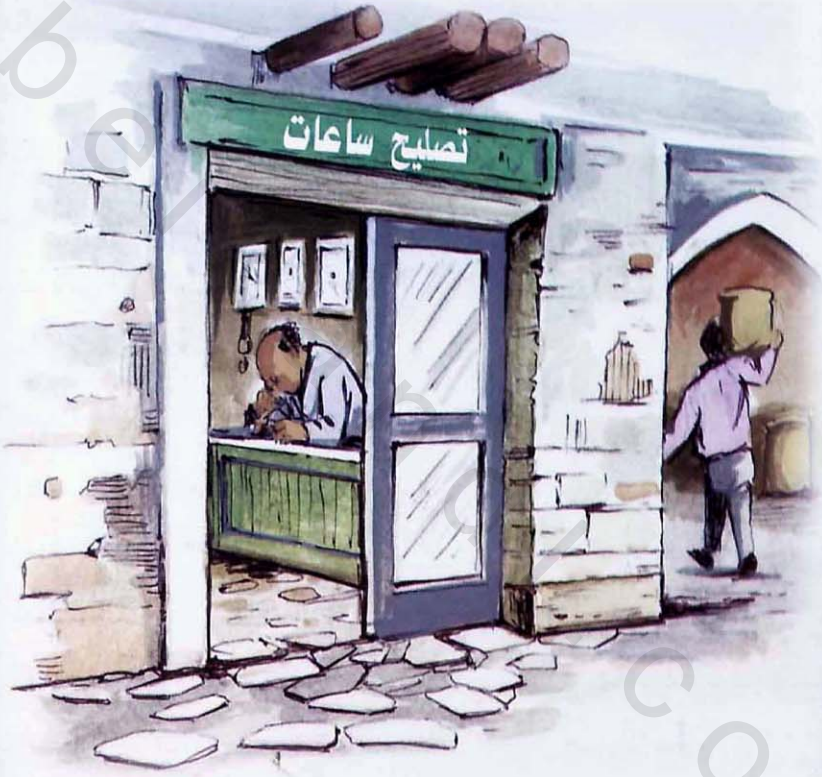

جمعتْهما الجيرةُ فى حيِّ الظاهرِ بالقاهرةِ منذُ سنواتٍ عديدةٍ ، عائلةَ « مصطفى البرديسى » ، وعائلةَ « بشارة تكلا » يعملُ « مصطفى » فى مجالِ تصليحِ الساعاتِ ،

وله فى الحيِّ الذى يسكنُ فيه محلٌ صغيرٌ يمارسُ فيه عملَه ، بينما يعملُ « بشارة » فى تجارةِ الغلالِ « القمحِ والشعيرِ والذرةِ » . وله دكانٌ لبيعِ هذه الغلالِ فى حيِّ الظاهرِ بالمشاركةِ مع أحدِ أقاربِه التاجرِ « مرقص غالى » .

ومنذُ بدايةِ هذه الجيرةِ والعائلتان « عائلةُ مصطفى وعائلةُ بشارة » - وهما فى تعاونٍ وتراحمٍ وتفاهمٍ لا نظيرَ له ، فلا يمرُّ شهرٌ إلاَّ وكلُّ عائلةٍ تستضيفُ العائلةَ الأُخرَى ، على تناولِ وجبةِ الغداءِ أو وجبةِ العشاءِ معاً ، ولا تمرُّ ضائقةٌ ماليةٌ على « مصطفى » إلا ويجدُ جارَه وأخاه « بشارة » يقفُ بجانبِه يساندُه ويؤازرُه مالياً حتى تزولَ هذه الضائقة ، وأحياناً يحدثُ العكسُ إذا مرَّت ضائقةٌ ماليةٌ أو اجتماعيةٌ على « بشارة » إلاَّ ويجدُ جارَه ، أخاه « مصطفى » يساعدُه على مرورِ هذه الضائقةِ بسلامٍ .

أما « فتحيةُ » زوجةُ « مصطفى » ، ووفاءُ زوجةُ « بشارة » فهما فى تواصلٍ دائمٍ داخلَ البيتِ أو خارجَه ، خاصةً عندَ شراءِ ما يلزمُ الأُسرتين من : خضارٍ وفاكهةٍ ولحومٍ وأسماكٍ ، وأيضاً ما يلزمُ العائلتان من أقمشةٍ وملابسٍ وأجهزةٍ منزليةٍ ، إلى غيرِ ذلك، وفى الاحتفالاتِ والأعيادِ الإسلامية ، تجدُ عندَ الأسرتين احتفالاً وعيداً ، وكذلك فى الاحتفالاتِ والأعيادِ المسيحيةِ ، تجدُ عند الأسرَتين احتفالاً وعيداً ، وفى فتراتِ الأحزانِ وخاصةً عندَ « وفاة » عزيزٍ لدى إحدَى العائلتين ، يكونُ هناك حدادٌ وحزنٌ عندَ العائلتين . وهذا التلاحمُ والتراحمُ والإخلاصُ قدَّرَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ على أفرادِ هاتين العائلتين بصورة فاقتْ الوصفَ .

ولم تشذَّ علاقةُ الأبناءِ معاً عن هذا التلاحمِ والتراحمِ والإخلاصِ ، فعلاقةُ محمد وإيمان مصطفى البرديسى ، بـ عدلى ولطيفة بشارة تكلا ، علاقةُ صداقةٍ وأُخوّةٍ

ووفاقٍ دائمٍ ، فاستذكارُ الدروسِ غالباً يكونون معاً ، وفى أوقاتِ الفراغِ يمارسون ألعاباً مشتركةً ، ويذهبون إلى الحدائقِ والمتنزهاتِ معاً لقضاءِ أجملِ وأحلَى الأوقاتِ معاً .

ومع مرورِ السنين لم يزدْ الدخلُ الشهرىُّ لمصطفى وعائلتِه كثيراً من تصليح الساعات - وأحياناً التجارةِ فيها - رغم الزيادةِ المستمَّرةِ فى مستلزماتِ المعيشةِ ، ولكنه كان دائماً يردِّدُ : مستورةٌ والحمدُ لله .

أما الدخلُ الشهرىُّ لبشارة وعائلتِه فقدْ زادَ بصورةٍ كبيرةٍ ، فتجارةُ الغلالِ كانت دائماً رائجةً بشكلٍ مستمرٍّ ، مما زادَ من ثراءِ « بشارة » بصورةٍ واضحةٍ ، فزادتْ أرصدتُه فى البنوكِ .

وفى أحدِ الأيام عندما اجتمَع « مصطفى البرديسى » بجارِه « بشارة تكلا » على أحدِ المقاهى ، كما تعودا منذُ زمنٍ بعيدٍ ، قال مصطفى :

- أخى بشارة ، قرأتُ اليومَ فى جريدةِ الصباحِ أن هناك أرضاً صحراويةً مُقسمَّةً تعرضُها إحدَى الجمعياتِ التعاونيةِ فى طريقِ القاهرةِ الإسماعيليةِ الصحراوى ، وهذا البيعَ سيكونُ بالتقسيطِ المريحِ - على عشرِ سنواتٍ مع دفعِ مقدَّمٍ بسيطٍ عند التعاقدِ ، وأنا أرى أنَّها فرصةٌ ممتازةٌ . وخاصةً أنَّ مساحةَ كلِّ قطعةٍ عشرةُ أفدنةٍ .

ردَّ بشارة - ولكنْ يا أخى مصطفى هذه صحراءٌ جرداءٌ ، كما أنَّها تبعدُ كثيراً عن القاهرة .

قال مصطفى فى حماس :

- لكنَّ المستقبلَ لهذه الأرضِ يا بشارة ، فبعدُ سنواتٍ سيتمُّ تعميرُ هذا الطريقَ ،

وعندَها سيَقْفِزُ سعرُ هذه الأرضِ إلى درجةٍ لا تتخيلُها .

وأخذَ « بشارة » بنصيحةِ جارِهِ « مصطفى » ، وقام بشراءِ قطعةِ أرضٍ مساحتُها عشرةُ أفدِنةٍ فى تلك الجمعيةِ التعاونيةِ وبالفعل ما هى سوى إلا عدَّةُ سنواتٍ حتى تمَّ تعميرُ قدرٍ كبيرٍ من طريق القاهرةِ الإسماعيليةِ ، وأصبحَ ثمنُ هذه الأرْضِ التى اشتراها

بعدَّة ألوفٍ من الجنيهات ، عدَّة ملايينَ من الجنيهات ، وباع « بشارة » نصفَ الأرضِ وبنى « فيلا » فاخرةً على النصفِ الآخرِ تتكونُ من عدَّةِ طوابقٍ ، تم تأسيسُها بأثاثٍ فاخرٍ وانتقلتْ أُسرةُ « بشارة تكلا » من حيِّ الظاهرِ الشعبى ، لتسكنَ هذه الفيلا الفاخرةَ فى طريقِ القاهرةِ الإسماعيليةِ ، ولم ينسَ « بشارة » بأنَّ كلَّ ما هو فيهِ وأُسرتُه من عيشةٍ والخيرُ كان بسبب نصيحةٍ أسداها إليه بإخلاصٍ جارُه « مصطفى » .

وأصرَّ بشارة وعائلتُه أنْ يستضيفا « مصطفى » وعائلتَه فى فيلتهم الفاخرةِ عدَّةَ أيامٍ ، يسعدان معاً ، ويعيدان ذكرياتِ أيامِ الجيرةِ السابقةِ .

واستجابتْ عائلةُ مصطفى لهذه الدعوةِ الكريمةِ وهم فى سعادةٍ وسرورٍ .

واستيقظَ أهلُ القاهرةِ على زلزالٍ هائلٍ درجتُه « سبعُ درجاتٍ على مقياسِ رختر » ، سقطت على إثرِه بعض البيوتِ القديمةِ فى بعض الأحياء ، ومنها بيتُ عائلة « مصطفى » ، وراح كثيرٌ مِنَ المواطنين ضحيةً لهذا الزلزالِ المدَمِّرِ ، وشرِّدتْ مئَاتُ العائلاتِ من تهدُّمِ بيوتِهم .

وحمدَ مصطفى ربَّه أنَّه وعائلتُه بخيرٍ ، ولم يكنْ وجودُهم فى بيتِهم وقتَ وقوعِ هذا الزلزالِ المدمِّرِ وطمأنَ بشارة جارَه القديمَ وصديقَه أن كُلَّ شىءٍ سيكونُ على ما يُرامُ ، وأنّه سيدبِّرُ مسكناً جديداً ومناسباً لسكنى مصطفى وعائلتِه ، بل عَرض عليه أن يبيعَ محلَّ تصليحِ الساعات الذى يمتلكُه ، وسيدخلُ معه كشريكٍ فى محلِ بيع وتصليحِ الساعاتِ يقعُ فى حيِّ العتبةِ التجاريِّ .

وما هى سِوى إلا أسابيعٍ قليلةٍ حتى وجدَ « مصطفى » وعائلتَه أنفسَهم فى مسكنٍ جديدٍ ومناسبٍ للغايةِ ، وتم استبدالُ محلِّه الصغيرِ القديم ، بمحلٍ كبيرٍ وواسعٍ لبيعِ وتصليحِ الساعاتِ فى حيِّ العتبةِ التجاريِّ ، وزاد الدخلُ الشهرِىُّ لعائلة « مصطفى »بصورةٍ واضحةٍ ، وأصبحتْ الحياةُ أيسَرَ ، والمعيشةُ أفضلُ ، رغم أنَّه عندَ وقوعِ الزلزالِ وتَهدُّمِ مسكنِه ظنَّ أن حياتَه وأسرتَه قد انتهوا تماماً ، ولذا كان يردِّدُ دائماً الآيةَ الكريمةَ مِنَ القرآنِ الكريمِ :

« وعسى أنْ تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم » ، فلقد حوَّلتْ الصداقةُ والأخوةُ بينه وبين جارِه السابقِ « بشارة » قوةَ هذا الزلزالِ الرهيبِ ، إلى حياةٍ جميلةٍ ، ومعيشةٍ ميسرةٍ ، وغدٍ مُشرقٍ .

وعندما دخلَ عليهِ صديقُه « بشارة » المحلَّ فى أحدِ الأيام ليطمئنَ إلى سيرِ الأمُورِ ،

عانقه « مصطفى » بحرارةٍ وإخلاصٍ ، وهو يدعُو اللّهَ تباركَ وتعالى أن يديمَ عليهما هذه الأخوَّةَ مدىَ الحياة .

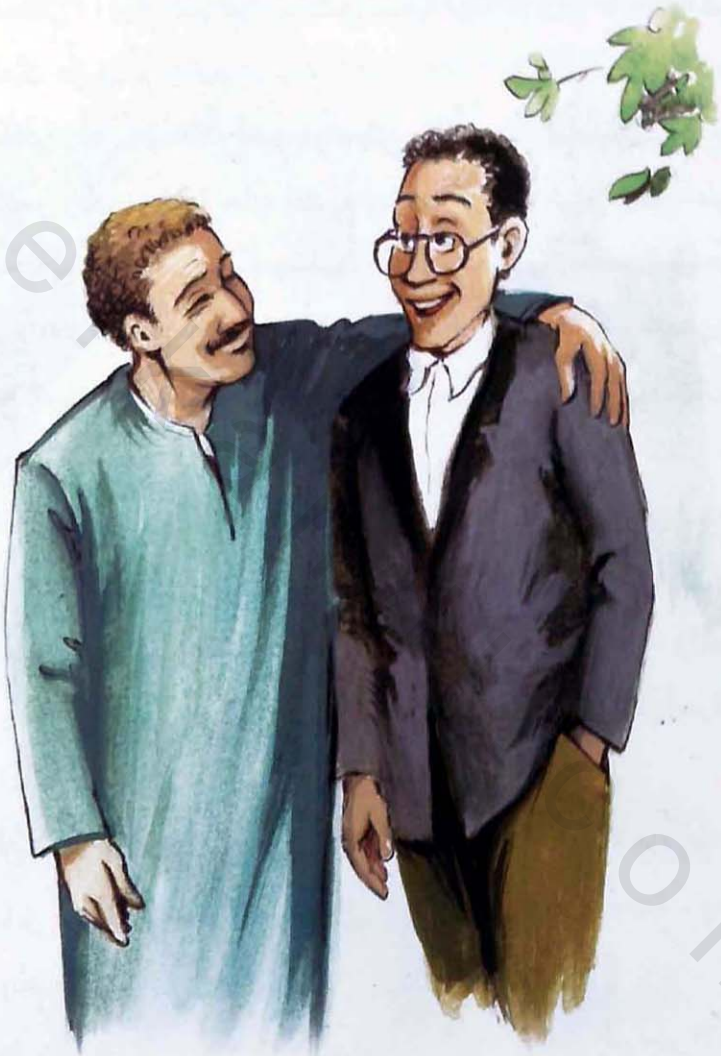

القضية

عندما حصلَ الشابُ « موريس خليل حنّا تادرس » على شهادةِ البكالوريوسِ فى كليةِ التجارةِ قسمِ المحاسبةِ ، ظنَّ أنَّ الدنيا تبسَّمتْ له من بعدِ سنواتٍ من المعاناةِ ، فهو يتيمُ الأبِّ ، والأُمِّ ، ولا يعرفُ أقرباءً له ، واضطرَّ أنّ يعملَ فى تنظيفِ السياراتِ بأحدِ الجراجاتِ ليكتسبَ قوتَ يومِه ويكملُ تعليمَه الجامعىِّ ، ولكنْ حتى هذه الشهادةَ

الجامعيةَ لم تُتِحْ له وظيفةً مناسبةً يتعيشُ منها ، فاضطرَّ ليعملَ أعمالاً مُتعدِّدةً كُلُّها لا تتناسبُ مع شهادتِه الجامعية ، فعملَ تارةً مندوبَ مبيعاتٍ منظفاتٍ صناعيةٍ ، وعملَ فى استديو تصوير فوتوغرافى تارةً أُخرى ، وبائعاً فى محلٍّ تارةً ثالثةً ولكنه لم ينجحْ فى أىِّ عملٍ من هذه الأعمالِ ، وأخيراً وُفِّقَ فى عملٍ حارسٍ على إحدى الفلل الحديثةِ داخلَ تجمُّعٍ من تجمعاتِ القاهرةِ الجديدةِ ، وصاحبُ هذه البنايةِ الفاخرةِ رجلُ أعمالٍ من أثرياءِ العصرِ الحديثِ ويمتلكُ أكثرَ من سيَّارةٍ من تلكَ السياراتِ الفاخرةِ الأرقى فى النوعِ ، والأحدثِ فى الموديل .

وسعدَ الشابُّ « موريس » بهذا العملِ ، حيثُ إنَّ عائدَه الشهرىَّ كبيرٌ ، يستطيعُ أن يعيشَ بجزءٍ منه عيشةً جيِّدةً ، وأنْ يدخرَ الجزءَ الباقى من دخلِه الشهريِّ لتأمينِ مستقبلِ حياتِه .

ولكن لم يَدُمْ هذا الحالُ سوى عدَّةِ شهورٍ قليلةٍ ، فقد اكتشفَ « موريس » أن هناك مَنْ يراقبُ تحركاتِ هذا الثرِّىِّ ، واستطاعَ أن يستنتجَ أنَّ هؤلاءِ الذين يراقبون الثريَّ مِنَ الشرطةِ السريةِ - مباحثِ أمنِ دولةٍ - وعندما أبلغَ « موريس » الثريَّ بأمْرِ هذه المراقبةِ أسرعَ واختفَى ، وعَرفَ فيما بعدُ أنَّه هربَ إلى خارجِ مصرَ ، ويبدو أنَّ الأمرَ متعلقٌ بعدمِ شرعيةِ مصادرِ ثروتِه الماليةِ الطائلةِ .

وجاءَ العديدُ من رجالِ أمنِ الدولةِ يفتِّشون فى فلته ويتحفظون على أوراقٍ معينةٍ ورسائلَ ، وجهازِ كمبيوتر عليه معلوماتٌ خَطيرةٌ تدينُ هذا الهاربَ وتجعلَه تحت طائلةِ القانونِ .

وكان أمراً طبيعياً أنْ يُستدعى الحارسُ « موريس » للنيابةِ لأخذِ أقوالِه ومعلوماتِه عن

رجلِ الأعمالِ الذى كانَ يعملُ عندَه ، وعن دقائقِ تصرُّفاتِه وسلوكياتِه ، وعن بعضِ الأشخاصِ الذينَ كانوا يحضرون معه فى مكانِ سكنِه .

ورغمَ أنَّ هناك بعضَ الشكوكِ أنَّ الشابَ « موريس » لهُ دورٌ فى أعمالِ الرجلِ الهاربِ بخلافِ كونِه حارساً لمسكَنِه ؛ إلاَّ أنَّ كافةَ التحرياتِ أثبتتْ خلافَ ذلك ، فأمَرَ وكيلُ النيابةِ بالإفراجِ عن الشابِّ « موريس » ، حيثُ لم تثبتْ عليه أىُّ تهمةٍ تدينُه ، وفى آخرِ ورقةِ قرارِ الإفراجِ عنْه جاءتْ عبارَةٌ روتينيةٌ كما يلى : « يفرَجُ عن المذكورِ عاليه ما لم يكنْ مُتَّهماً على ذمَّةِ قضيةٍ أخرى » .

وسَعِدَ « موريس » بهذه النتيجةِ لأنَّه بالفعلِ ليس عليه أىُّ قضيةٍ طوالَ حياتِه .

ولكنْ بالكشفِ عن اسمِ الشابِّ فى كمبيوتر وزارةِ الداخليةِ ، جاءتْ المفاجأةُ المُذهلةُ والتى صَعَقَتْ على إثرِها هذا الشابَّ ، حيثُ اتضحَ بأنَّ : « موريس خليل حنا تادرس » محكومٌ عليه فى قضيةِ صرفِ شيكٍ مزورٍ صُرِفَ من البنكِ العربى الأوروبى بمبلغ «١٥٠٠٠» دولارٍ أمريكى ، وكانَ الحكمُ عشرَ سنواتٍ سجناً مع الشُّغلِ والنفاذِ ، فتمَّ القبضُ على الشابِّ فوْراً لتنفيذِ الحكمِ الصادرِ ضدَه ، وسقطَ « موريس » مغْشياً عليه من هولِ المفاجأةِ ، وعندما أفاقَ من غيبوبَتِه ؛ ظلَّ يبكى بشدةٍ وهو يُقسِمُ بالمسيحِ الحيِّ أنَّه لا يدرى شيئاً عن هذا الشيكِ المزورِ ، وهل لو كان معه هذا المبلغُ المالىُّ الكبيرُ ، فلماذا يرضَى لنفسه أن يعملَ حارساً وهو الحاصلُ على شهادةٍ جامعيةٍ ؟

ولكنَّ كُلَّ هذا لم يُجْدِ ، فالحكمُ صادرٌ على الشابِّ « موريس خليل حنا تادرس » ، وهذا اسمٌ رباعياً ولا يُعقلُ أن يكونَ هناك تشابُهٌ فى الأسماءِ لاثنين لهما الاسمُ نفسُه رباعيٌّ .

وتمَّ إيداعُ الشابِّ البريءِ السجنِ ليُنفَّذَ الحكمُ الصادرُ ضدَّه ،وهو عشرُ سنواتٍ سجناً مع الشغلِ والنفاذِ وعندَ مُرورِ مديرِ السجنِ العميدِ « أحمد عبد الله » على عنابرِ المسجونين ، اشتكَى له المسجونُ « موريس » حالَه وتأثَّرَ المديرُ لحكايَتِه التى لمسَ فيها الصدقَ ، فنَصَحَه بأن يوكلَ له محامياً لإظهارِ براءتِه ، وهنا أخبرَ الشابُّ مأمورَ

السجنِ بأنَّه يعرفُ محامياً قديراً اسمه « محمد أدهم » مكتبه فى الشارعِ الرئيسى للحيِّ الشعبىِّ الذى يَسكُنُ فيهِ ، ومعروفٌ عنه النزاهةُ والخلقُ والخبرةُ والذكاءُ .

ومِنْ خلالِ حماسِ مديرِ السجنِ للمسجونِ « موريس » قامَ باستدعاءِ المحامى « محمد أدهم » ، وفى اليومِ التالى كان المحامى المذكورُ يجلسُ فى حجرةِ المأمورِ وجهاً لوجه أمام المسجونِ البرئِ « موريس خليل » الذى عَرضَ تفاصيلَ قضيتهِ وهو يبكى ، وسألَهُ المحامى قائلاً :

- هل فقدتَ بطاقتَك الشخصيةَ منذُ فترة ؟

أجاب الشابُّ بعدَ بُرهةٍ مِنَ التفكيرِ : نعمْ .. نعمْ يا أستاذ ، فقدْ سُرِقتْ منِّى مَعَ محفظتِى وأنَا استقلُّ أتوبيساً مزدحماً ، وذهبتُ إلى قسمِ شرطةِ الأزبكيةِ لعملِ محضرٍ بهذه الواقعةِ ، واستخرجتُ بدل فاقد لبطاقتى الشخصية .

قال المحامى بكل ثقةٍ : الأمرُ قدْ اتَّضحَ .. لقدْ استغلَّ المجرمُ الحقيقيُّ بطاقتَك الشخصيةَ وانتزعَ صورتكَ ووضعَ صورتَه مكانَها ، وصرفَ الشيكَ المزوَّر باسمك- اطمئِنْ يا أخى ستظهرُ براءتُك بإذنِ اللهِ تعالى وتفاءل الشابُ المظلومُ ، وشعرَ بأن الخطوةَ الأولى لانتهاءِ أزمتِه قد بدأتْ .

وذهبَ المحامى إلى قسمِ شرطةِ الأزبكية ، ونسخَ صورةَ المحضرِ الذى قامَ « موريس » بتسجيله عندما فقدَ بطاقَته الشخصيةَ ، ثُم مِن خلالِ ملفِ القضيةِ بالمحكمةِ حصلَ على صورةِ الشيك الذى تمَّ صرفُه وصُورةٍ من قام بصرفِه ، وخطٍّ يدِه عندما كتَب اسمَه وعنوانَه ، وعَرَضَ على النيابةِ تصوَّرَه عمَّا قامَ به المجرمُ الأصلىُّ ، وبعدَ تحركاتٍ قام بِها بعضُ رجالِ الأمنِ ، تمَّ ضبطُ هذا المجرِم الحقيقيّ ، وفى الجلسةِ

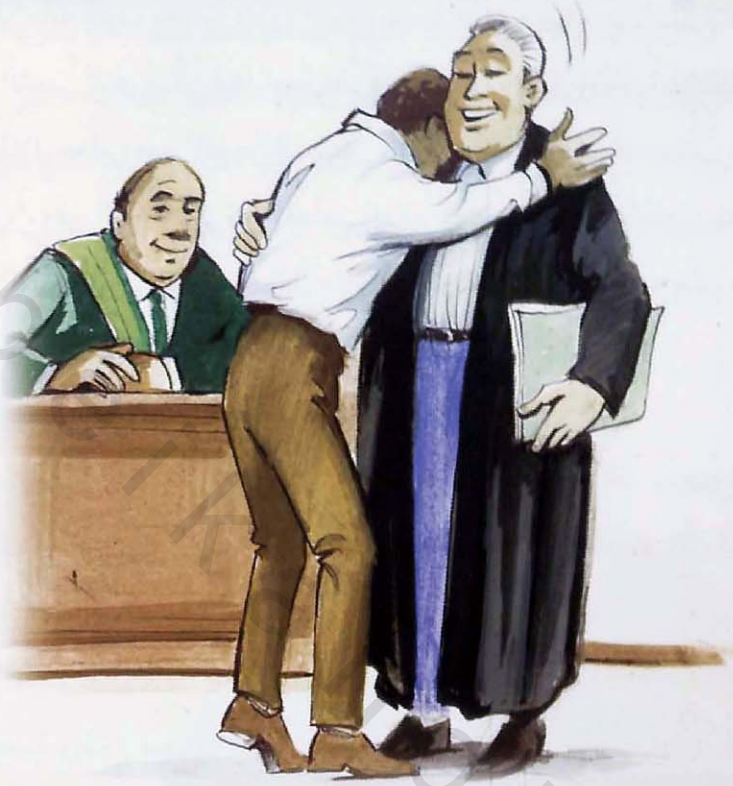

نفسِها داخلَ المحكمةِ أُدخِلَ المجرمُ الحقيقيُّ السجنَ ، وأُعلِنَ عن براءةِ الشَابِّ « موريس خليل حنا تادرس » ، وما أنْ تمَّ الإفراجُ عنه حتى عانقَ المحامى الفذَّ « محمد أدهم » عناقاً طويلاً والدموعُ تتساقطُ من عينيه ، وهو يقولُ : لن أنسَى ما قدمتَه لى يا أستاذ مدى الحياةِ ، وأتعابُك فى هذه القضيةِ هى دَيْنٌ فى عنقى سوفَ أُسَدِّدُهُ فى الوقتِ المناسب .

ضحكَ المحامى وقال : لا عليكَ يا أخى العزيزِ ، أنا متنازَلٌ عن كلِّ أتعابى فى هذه القضيةِ ، ففرحتى بالبراءةِ لا تقلُّ عن فرحتِك بِها

الجائزة

أعلنتْ الإذاعةُ المدرسيةُ بالمدرسة التجريبية الإعدادية للبنات عن مسابقة لأفضلَ بحث عنْ شخصيةٍ مصريةٍ معاصرةٍ أسهمَتْ وتُسهِمُ فى بناءِ الوطنِ وتقدُّمِه ورُقيِّه ، ويتخذُها النشءُ قدوةً صالحةً ومثلاً يُحتذَى بها ، ويسيرون فى طريقِ المعالى على خُطاها .

واتَّخذتْ التلميذةُ « إيمان أحمد » بالصفِّ الثانى الإعدادى قراراً بالاشتراكِ فى هذه المسابقةِ ، وبدأت تفكرُ فى اختيارِ تلكَ الشخصةِ الفريدةِ التى يمكنُ أن تكتبَ عنّها بحثاً متميزاً ، بحيثُ تجتمعُ فيها كل الشروطِ التى طُرِحتْ فى بنودِ المسابقةِ .

واستشارتْ « إيمان » والديها عن أىِّ شخصيةٍ مصرية فذّةٍ يمكنُ أن تدورَ محاورَ بحثِها حولَها وبعدَ استعراضِ عدَّةِ شخصياتٍ مصريةٍ ، استقرَّ تفكيرُ التلميذةِ « إيمان » على اختيار شخصيةِ رجلِ الأعمالِ المتميِّزِ « فريد عبد الكريم الطيب » لما له من أعمالٍ يُحتذَى بها تُسهِمُ جميعُها فى تقدمِ الوطنِ الحبيبِ مصرَ ، ومن أهمِ هذه الأعمالِ ما يلى :

- فهو يمتلكُ عدَّةَ مصانعُ فى مدينةِ العاشرِ من رمضانَ لإنتاجِ الأقمشةِ والملابسِ الجاهزةِ ذاتِ الجودةِ العاليةِ ، ويطرَحُها بأسعارٍ مناسبةٍ للمواطنين .

- ملحقٌ بهذه المصانعَ مدرسةٌ صناعيةٌ كبيرةٌ لتعليمِ الأبناءِ مهاراتِ الجوانبِ الصناعيةِ التى تؤَهِّلُهم للالتحاقِ بمصانعَ الأقمشةِ والملابسِ الجاهزةِ بعد تَخرُّجِهم فى المدرسةِ علاوةً على تعلُّمِهم المقرراتِ الدراسيةِ المقررةِ من وزارةِ التربيةِ والتعليم .

- هو رئيسٌ لجمعيةٍ خيريةٍ ترعَى الألوفَ مِنَ الأيتامِ والأراملَ فى عدَّةِ محافظاتٍ ،

وتمدُّهم بمعونات ماليةٍ ومستلزماتِ الحياةِ طوالَ العامِ .

- وهو أيضاً صاحبُ قناةٍ تليفزيونيةٍ خاصةٍ ، تبثُّ البرامجَ التعليميةَ المفيدة ، وكذلك برامجَ ثقافيةً ودينيةً واجتماعيةً فنيةً ، إلى غير ذلك بما يعودُ على أبناءِ المجتمع بالنفعِ والعلمِ والثقافةِ وفنوناً راقيةً ، وتعملُ على حلِّ مشكلاتِ المواطنين فى مختلفِ القطاعاتِ والمجالاتِ .

- وهو رجلٌ فى غايةِ التواضعِ ، يلتقى دائماً بأفرادٍ منَ المجتمعِ ، ويدرسُ معهم مطالبَهُم ، وكيفيةَ توصيلِ صوتِهم إلى المسئولين فى المراكزِ القياديةِ .

- وعلاوةً على كل ما سبقَ فهو يتحلَّى بالخلقِ الرفيعِ والقيمِ النبيلةِ ، والأدبِ الجمِّ والروحِ المرحةِ ، والعلاقاتِ المتينةِ الطيبةِ مع عددٍ كبيرٍ من أفرادِ المجتمع .

وتحمَّستْ التلميذةُ « إيمان أحمد » لهذهِ الشخصيةِ الفريدةِ المُحبَّةِ للخيرِ لمجتمعِها وأبناءِ وطنِها .

وبَدأتْ تجمَعُ المعلوماتَ والبياناتَ لكتابةِ بحثِها ، وحاولتْ أكثرَ منْ مرَّةٍ عن طريقِ والدِها أنْ تلتقِى رجلَ الأعمالِ « فريد عبد الكريم الطيب » ولكنْ دونَ جَدْوَى .

وفى مقابلةٍ مع صديقتِها فى الفصل « إيرين وليم » حَكتْ لها عنْ الشخصيةِ التى اختارتْها لكتابةِ بحثِها عنْها ، كما حَكتْ لها صعوبةَ مقابلةِ هذا الرجلِ ، ومعرفةَ الكثيرِ عن أسرارِ شخصيتِه ، وهنا صاحتْ « إيرين » قائلةً :

- حلُّ مشكلتِك عندى يا إيمان .

وابتسمتْ « إيمان » وقالتْ وهى غيرُ مصدقةٍ لكلامِ صديقتِها :

- صحيحٌ يا إيرين .. ولكنْ كيفَ يكونُ حلَّ مشكلتِى عندَكِ ؟

أجابتْ « إيرين » :

- إنَّ أبى « وليم ناجى عزيز » يعمَلُ منذُ أكثرَ مِنْ عشرين عاماً مع رجلِ الأعمالِ « فريد عبد الكريم » ويستطيعُ أن يرتِّبَ ميعاداً مناسباً تلتقين فيه مع هذا الرجلِ المصرىِّ الكبيرِ .

عانقتْ « إيمان » صديقتَها « إيرين » ، وقالتْ لها وابتسامةٌ كبيرةٌ تضيءُ وجهَها :

- أشكُرُك من كلِّ قلبى يا أختاه على هذه المساعدةِ الرائعةِ .

وبالفعلِ أبلغتْ « إيرين » أبَاها بما حدثَ بيْنَها وبينَ صديقتِها « إيمان » ، ورغْبَتَها فى مقابلة رجل الأعمالِ الكبيرِ « فريد عبد الكريم الطيب » ورحَّبَ الرجلُ أيمَّا ترحيبٍ

بهذه الرغبةِ ، واستطاعَ أن يُحدِّدَ موعداً بين رجلِ الأعمالِ والتلميذةِ « إيمان » .

وذهبتْ « إيمان » بمصاحَبَةِ وَالدِها لزيارةِ رجلِ الأعمالِ ، وسعِدَتْ كثيراً بهذا اللقاءِ الذى أتاحَ لها الوقوفَ على معلوماتٍ أساسيةٍ ومهمةٍ فى حياةِ هذا الرجلِ ، وأهمِّ المحطاتِ المُهِمَّةِ فى حياتِه تلك .

والتَقَطتْ بعضَ الصورِ الفوتوغرافيةِ مَعَهُ ، وعنْ أهَمِّ إنجازاتِه العظيمة .

وكتبتْ التلميذةُ « إيمان أحمد » بحثَها المتكاملَ عَنْ تلكَ الشخصيةِ الفريدةِ ، وقدمتْ البحثَ إلى لجنةِ المسابقةِ ، وهى تمُنِّى نفسَها بأحدِ المراكزِ الأُولى .

وجاء يومُ إعلانِ نتيجةِ المسابقةِ فى طابورِ الصباحِ ، وبحضورِ جميع التلميذاتِ ، والمعلماتِ وإدارةِ المدرسةِ ، فإذا ببحثِ التلميذةِ « إيمان أحمد » يفوزُ بالجائزةِ الأولى وهى عبارةٌ عن شهادةِ تقدير مع مبلغٍ ماليٍّ جيدٍ ، وعندَما سلَّمتْ مديرةُ المدرسةِ الجائزةَ إلى التلميذةِ « إيمان » قالتْ ودموعُ الفرحِ فى عينَيها :

- أنَا أُهدِى هذه الجائزةَ لأُختى وصديقتِى « إيرين وليم ناجى » التى ساعدتْنى بإخلاصٍ فى إنجازه .

وذهبتْ « إيمان » إلى المكانِ الذى تَقِفُ فيه « إيرين » وقالتْ لها :

- أُهديك يا أُختى الحبيبةَ هذه الجائزةَ التى أسهمتِ بكلِّ جديةٍ فى أنْ أحصلَ عليها .

وتعانقتْ الصديقتان وسْطَ تصفيقٍ حادٍ من كلِّ مَنْ كان فى الطابورِ ، وهنا أعلنتْ مديرةُ المدرسة أن تُبْقِى « إيمان » على جائزتِها ، وأنَّ المدرسةَ ستمنحُ التلميذةَ « إيرين وليم » جائزةً مماثِلةً لها تماماً على تَعاوُنِها المخلصِ مع صديقتِها ، ومرَّةً أُخرى

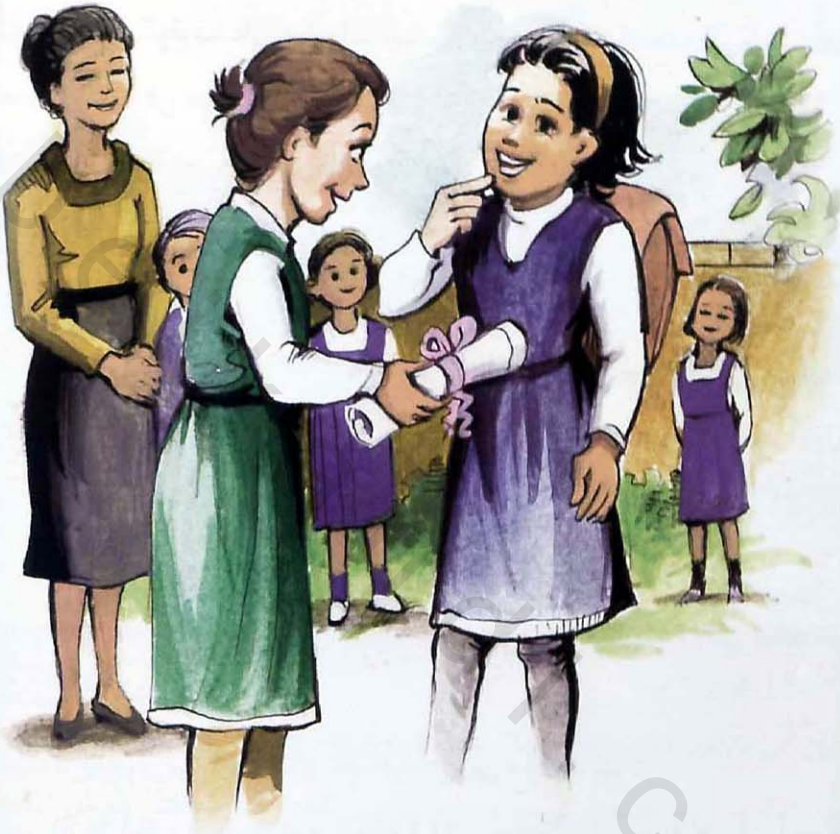

تعانقتْ الصديقتان والدموعُ تتساقطُ من العيونِ والتصفيقُ يملأُ أرجاءَ المدرسة .

حتى النهاية

تعدُّ قريةُ « القَرْنَة » مِنْ قُرى الصعيدِ التى تتبعُ مركزَ « فرشوط » ، وهى مثلُ آلافِ القُرَى المصريةِ فى شكلِ بيوتِها ، وأشجارِها ونخيلِها ، وأرضِها الزراعيةِ المفروشةِ بالزرعِ الأخضرِ ، وتَتَّسِمُ عيشةُ أهلِها بالبساطةِ وبُطءِ الحركةِ سواءً مِنَ الناسِ ، أو الدوابِّ فى دروبِ القريةِ الضيقةِ أو الواسعةِ .. وحتى ثيابَ أهلِ القريةِ فهى متشابهةٌ سواءً رجالَها أو نساءُها أو أطفالَها .

ولكنَّ أهلَ « القَرْنَة » يتميزون عن أهلِ القرى القريبةِ أوْ البعيدةِ بأنّهم يهتمون بتعليمِ أبناءهم، فالعلمُ عندَهم - على اختلافِ أنواعِه - أساسيٌّ ومُهِمٌّ ، لذا فقدَ خرجَ من هذه القريةِ العديدُ مِنَ العلماءِ فى مجالاتِ : الطبِّ ، والهندسةِ ، والزراعةِ ، والتعليمِ .

وفى المدرسةِ الابتدائيةِ بقريةِ « القَرْنَة » نشأ الطفلُ « أسامة جمعة عبد العزيز » ، بجانبِ صديقِه الطفلِ « عادل زكى شنودة » ، يدرسَان معاً ، ويلعبان معاً ، يتخاصمان أحياناً ، ولكنْ سرعانَ ما يتصالحان ، ويُعاتِبُ كلٌّ منهما الآخرَ على هذا الخصامِ الذى لايدومُ سوى دقائقَ معدودةٍ ، وهما لا يفهمان كثيراً لماذا يبتعدان عن بعضِهما فى حصصِ التربيةِ الدينيةِ ، ولا يعيان أبداً أنْ أسامة « مسلم » ، وعادل « مسيحى » ، وما داما يُحبُّ كلٌّ منهما الآخرَ ويحرِصُ أن يكونَ معه أطولَ وقتٍ ممكنٍ ، فلا معنى

لهذه المسمياتِ التى يطلقُها الآخرون فى المدرسة ، أو فى القريةِ .

جمعتْهما البراءةُ ، والمحبةُ ، والصداقةُ ، وحتى فى أيامِ الإجازاتِ يلتقى « أسامة » مع صديقِ عمرِه « عادل » ليقضيا معاً أوقاتاً ترويحيةً ، فى اللعبِ ، أو على شَطِّ الترعةِ ، أو مِنْ خلالِ الجلوسِ حولَ « عم حسين » يستمعان إليه وهو يحكى لبعضِ أطفالِ

القريةِ حكاياتٍ عن أبطالِ الصعيدِ ، وفرسانِ أهلِ زمانٍ ، ويمسكُ « أسامة » بيد « عادل » وهما فى سعادةٍ لا توصفُ ، ومستمتعانِ بسماعِ هذه الحكاياتِ و، وعلى وجْهَيْهما ابتسامةٌ مضيئةٌ .

وتمرُّ الأيّامُ ، والشهورُ ، والسنينُ ، ويكبرُ الطفلان ، ويسافرُ الفَتى « أسامة جمعة عبد العزيز » إلى القاهرةِ ليلتحقَ بالأزهرِ الشريفِ حيث يُعَدُّ ليكون فى المستقبلِ أحدَ شيوخِ الأزهرِ المتفقهِ فى دينِه الإسلاميِّ .

كما يسافرُ الفتى « عادل زكى شنودة » ليلتحقَ بالكاتدرائية المرقصيةِ فى مدينةِ أسيوطٍ ، حيث يدرسُ أساسياتُ الدينِ المسيحى ، حيث يُعَدُّ بعدَ تفقُّهِه فيه ليكونَ فى المستقبلِ أحدَ القساوسةِ الذين يبشرونَ بهذا الدينِ المسيحيِّ بين أبناءَ الطائفة المسيحية .

وأتمَّ الشيخُ « أسامة » دراستَه فى الأزهرِ الشريفِ ، وحصلَ على شهادةِ الإجازَة بتفوقٍّ وعيَّنتْهُ وزارةُ الأوقافِ « شيخَ وإمامَ مسجدِ الرحمةِ بمدينةِ أسيوط » .

وكذلك انتهىَ الأبُّ « عادل زكى شنودَة » من دراستِه للدينِ المسيحىِّ ، وتمَّ تعيينُه راعىَ كنيسةِ القديس بطرس بمدينةِ أسيوط .

ويشاءُ القَدَرُ أن يكونَ « مسجدُ الرحمةِ » ، و« كنيسةُ القديسِ بطرس » فى الشارعِ نفسِه، ، بلْ أنْ يكونَ بابُ المسجدِ أمامَ بابِ الكنيسةِ لا يَفصلُهما سوى عرضِ الشارعِ الذى يبلغُ حوالى عشرَةِ أمتارٍ .

وفى أحدَ الأيامِ يُفاجأُ الشيخُ « أسامة » ، وهو يخرجُ من المسجدِ بأنّه وجْهاً لوجهٍ أمامَ القسِ « عادل » وهو يخرُجُ أيضاً من الكنيسةِ ، وعرَف كلٌّ منهما الآخرَ مِنْ نظراتِ

العيونِ وابتسامةُ الوجهِ .

وصاحَ كلٌّ منهما وقالا فى صوتٍ واحدٍ : غيرُ معقولٍ .. يا أهلاً ويا مرحباً بصديقِ الطفولةِ وتعانقَا معاً فى اشتياقٍ ، وتذكراَ أيامَ الطفولةِ الجميلةِ ، ومواقفَ عديدةً أثَارتْ فيهما البهجةَ والسرورَ والفرحَ ، وتعجبا من هذا اللقاءِ الذى جاء بعدَ فراقِهما سنواتٍ طويلةٍ .

ومنذُ هذا اللقاءِ المدهشِ ؛ وأهلُ الحيِّ يشاهدون الشيخَ « أسامة » مع القسِّ « عادل » وهما يسيران معاً ، وكُلٌّ منهما يمسِكُ بيدِ الآخرِ بحرارةٍ ، ويتذكران أيامَ كانا يسيران

فى طفولَتِهما معاً فى طرقاتِ قريةِ « القَرْنَة » .

وأسعدَ هذا المشهدُ المتكرِّرُ مسلمى وأقباطِ الحيِّ ، فهو يُجَسِّدُ هذه الوحدةِ الغاليةِ وهذا النسيجُ القوىُّ الذى يَلُفُّ مواطنى مصرَ مسلميهم وأقباطِهم .

وفى أحدِ الأيامِ استيقظَ الجميعُ على مواجهةٍ داميةٍ بين بعضِ المسلمين وبعضِ المسيحيين بأحدِ أحياءِ أطرافِ مدينةِ أسيوطٍ ، وأسرَعَ الشيخُ « أسامة » فى رفقةِ

القسُّ « عادل » إلى مكانِ المواجهةِ ، فوجدا فريقين يتعاركان بالعِصىِّ فريقاً من المسلمين ، وفريقاً من المسيحيين ، وصيحاتُ وصرخاتُ النساءِ تملأُ المكانَ وأطفالاً من الجانبين يرشقون بالطوب والحجارةِ الجانبَ الآخرَ ، وهناك مَنْ قَدْ أصابته المواجهةُ فسقطَ على الأرضِ مغشياً عليه ، كما أنَّ هناكَ دماءً سالتْ على الوجوهِ ، ودماءً سالتْ على أرضِ المواجهةِ .

وأسرعَ الشيخُ « أسامة » بإبعادِ فريقِ المسلمين ، كما قامَ القس « عادل » وأبعدَ فريقَ الأقباطِ ، وتوقَّفَ هذا الالتحامُ الدامِى ، كما توَّقَفَ الصياحُ وانقطعتْ الصَراخاتُ وتحدَّثَ الشيخُ « أسامةُ » بصوتٍ عالٍ فقال : يا إخْوانِى لِمَ هذا العراكُ ؟. إنَّنا أبناءُ وطنٍ واحدٍ ، وبلدٍ واحدٍ ، ولا يُرضِى اللّهَ تباركَ وتعالى هذا العِراكُ وتلكَ الخصوماتُ وتحدَّثَ القَسُّ « عادل » فقال : انظروا يا إخوانِى .. هذا أخى وصديقُ عمرى

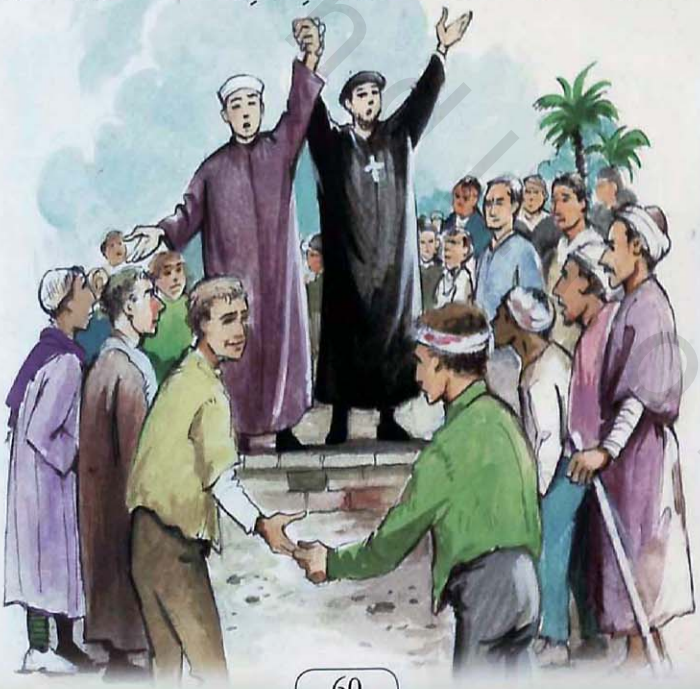

الشيخُ « أسامة » وأقسمُ لكم إنَّنا مثلَ الأشقاءِ فى العائلةِ الواحدةِ .

وتقدَّم الشيخُ « أسامة » ناحيةَ القسِّ « عادل » وعانقَه عناقَ الأُخوةِ المخلصين ..

وهدأتْ النفوسُ من هذا المشهدِ الكبيرِ ، وانقلبتْ صرخاتِ النسوةِ إلى زغاريدَ ، وتعانقَ كلُّ مسلمٍ مع أخيهِ المسيحيِّ ، وصاحَ الشيخُ « أسامةُ » والقس « عادل » بأعلَى صوتِهما :

- أُخوَةٌ معاً حتى النهايةِ ، أخوةٌ معاً حتى النهايةِ ..

وردَّدَ الجميعُ بصوتٍ عالٍ : أخوةٌ معاً حتى النهايةِ ، أخوةٌ مَعاً حتى النهايةِ .

obeikandl.com

من إصدارات المؤلف

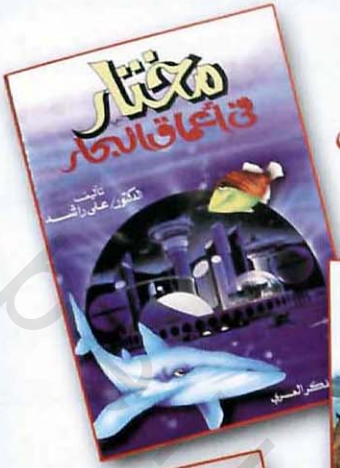

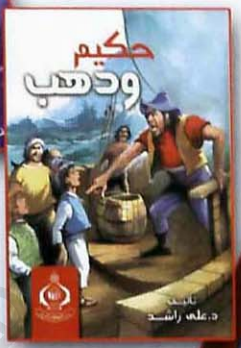

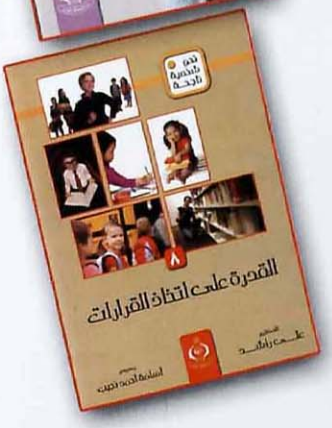

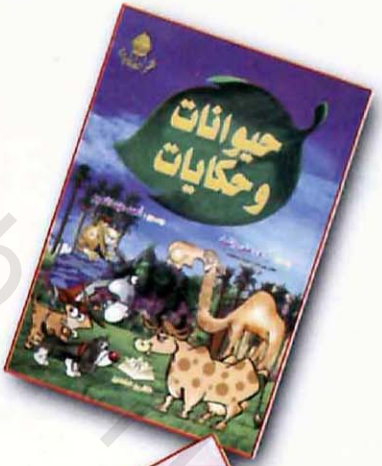
حيوانات وحكايات

تنمية الإبداع والخيال العلمي
لدى أطفال الروضة والمرحلتين الابتدائية والإعدادية

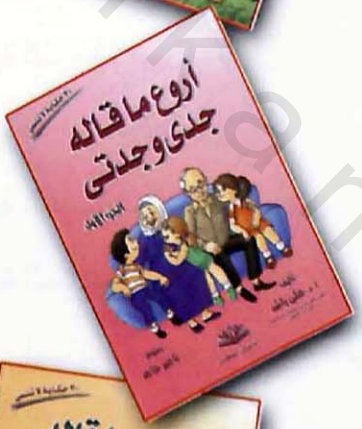
أروع ما قاله جدى وجدتى
الجزء الأول

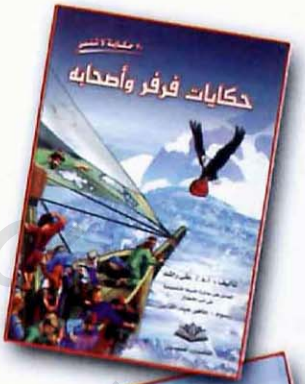
حكايات فرفر وأصحابه

أروع ما قاله جدى وجدتى
الجزء الثانى

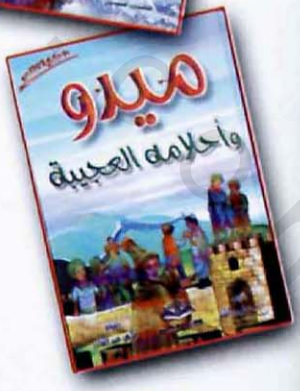
ميدو
وأحلامه العجيبة

المحتويات

الحكاية الأولي ـ الرحلة 3

الحكاية الثانية ـ قلوب حانية 8

الحكاية الثالثة ـ حق الصديق 13

الحكاية الرابعة ـ الحفل 19

الحكاية الخامسة ـ الامتحان 24

الحكاية السادسة ـ عزاء واجب 30

الحكاية السابعة ـ سبع درجات علي مقياس رختر 36

الحكاية الثامنة ـ القضية 43

الحكاية التاسعة ـ الجائزة 49

الحكاية العاشرة ـ حتى النهاية 55

obeikandl.com